



قراءات فكر السالمج

الطبعة الثانية
١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م



قراءات في فكر السالم

حصار الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي

في الفترة من ٤ - ٥ ربيع الآخر ١٤١٣ هـ / الموافق ١ - ٢ نوفمبر ١٩٩٢ م

الطبعة الثانية

١٤٢٣ / ٢٠٠٣ م

كلمة

معالي الشيخ / محمد بن عبدالله بن زاهر الهنائي
«وزير الزراعة والثروة السمكية ، راعي الندوة».

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الهادي الامين محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.

اصحاب المعالي ... اصحاب السعادة ... العلماء الاجلاء ... اسرة
المحتفى به ... ايها الحضور الكريم ...
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : اما بعد ...

فانه لمن دواعي السرور أن نجتمع لنحتفى بتكريم علمائنا
ونعترف لهم بالفضل لما قدموه من فكر وعلم أنار لنا الطريق
وأرشدنا الى سبل الصلاح ، حيث مكنهم حسهم الفائق من أن يروا
في حياتهم ذلك المستقبل الذي عملوا من أجله نبراسا لأجيالهم
اللاحقة ومنازة فكر يهتدى بها من بعدهم لاصلاح مجتمعاتهم على
نهج ترعاه الهداية وتقومه العقيدة.

ولقد افرزت كل مرحلة من مراحل التطور التاريخي ثقافتها التي
تعبر عنها وفكرها الذي يرسم طريق الامم وينير معالمها ... وقد
كان الشيخ السالمي المحتفى بتكريمه أحد الاعلام البارزين في رسم
معالم الفكر العماني لتلك المرحلة والمراحل التي تلتها ولا نزال
نترسم نتاجه الفقهي وربى اجيالنا على مناهجه.

ويعتبر الفكر اللبنة الاولى للتأسيسات الحضارية والمعين الذي
يغذي المجتمع لاجيال متلاحقة مؤهلة لأن تلعب دوراً أساسياً في
البناء الحضاري والرقى بالانسان وهو السمة التي اتسم بها

العمانيون من بداياتهم الاولى لتأسيس عمان وتأهيلها لتلعب ادوارها التاريخية عبر الحقب الماضية.

ان تكريم أعلام الفكر والعلم سمة حضارية ولفتة كريمة لا بد من الوقوف عندها والحث على استمراريتها وهى منهاج صحيح لتعريف مجتمعنا بحضارته وفكره وأجياله وتراثه وأدبه وجذوره الاولى وهو يستعد لدخول بوابة القرن الحادي والعشرين متكئاً على ماضيه المشرق ليصنع مستقبله المضيء.

ان مناسبة كهذه تتيح لنا الفرصة لقراءة التاريخ العماني ، ماضيه وحاضره في شتى المراحل والحقب، وكل قراءة تعتبر اضافة جديدة لمسيرتنا نحتاج إلى التوقف عندها لناخذ منها فكرها ومعرفتها وحكمتها.

ونحن اذ نحتفي بتكريم العلامة الشيخ / نور الدين السالمي - طيب الله ثراه - فاننا نرجو أن يكون على القائمة عدد من العلماء الآخرين في طريقهم للتكريم.

وفقنا الله لما فيه الخير والصلاح ، وبارك لعمان في باعث مجدها العظيم وراعي حاضرها السعيد وباني مستقبلها المشرق حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة سعادة رئيس المنتدى

الحمد لله العليّ مكأنه ... المنير برهائه ... واشهد أن لا اله الا الله
... وان محمداً رسول الله وبعد
معالي الشيخ محمد بن عبدالله بن زاهر الهنائي وزير الزراعة
والثروة السمكية راعي الندوة ...
اصحاب السمو والمعالي ... اصحاب السعادة ...
اسرة المحتفى بذكراه ... ايها الجمع الكريم ...
إنه لمن يُمْن الطالع أن يأتي احتفالنا الثقافي هذا بذكرى العلامة
المحقق نور الدين السالمي ، ونحن نعيش هذه الأيام فرحتنا الكبرى
بالعيد الوطني الثاني والعشرين المجيد ، بروح وثابة تغمرها
طموحات الثقة والامل ، فكل أحلامنا الجميلة التي صورتها بالامس
نهضة قابوس المباركة أضحت واقعاً ملموساً تسري في نفوسنا
كالندى الشذي يلامس أغصان الاشجار العطشى لتدب في أوصالها
روح الحياة فتمرح وتخلص.

معالي الشيخ محمد بن عبدالله بن زاهر الهنائي وزير الزراعة
والثروة السمكية راعي حفلنا الثقافي هذا ... اصحاب السمو والمعالي
... اصحاب السعادة ... اسرة المحتفى بذكراه ... أيها الحضور
الأفاضل ...
وانه لا يخفى للعيان أننا قطعنا - والحمد لله - شوطاً أكبر من
ذلك ، حينما أضحت النهضة العمانية المعاصرة نموذجاً فذا للوجه
الجميل الحسن ، بين أبناء امتنا واصدقائنا ، وكما يعلم الجميع ،

فان مسئولية هذا النموذج تتعاضد كل يوم على كواهلنا ، بقدر الآمال المعقودة على أبناء هذه الامة ، كما جاءت تجربتنا الديمقراطية في مجلس الشورى ، وعلاقاتنا الودية والتميزة مع الجوار ، لتؤكد على اصرار القائد المفدى جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم على دعم هذه التجارب لتكفل بكل مقاييس النجاح ومفاهيمه، في إطار نهضة علمية تقنية ، تتميز بطابع اعلامي قادر على الاحاطة بالمكان بأبعاده الشاسعة ، وبالزمان في أدق لحظاته ... نهضة تضع على قائمة أولوياتها بناء الانسان العماني القادر على إدراك النتائج المترتبة على سلوكه وتصرفاته ليعرف كيف يتصرف بحسب الأولويات ، وكيف ينهض بواجبه بالتضامن من أجل تحقيق الرخاء والرفاء لمجتمعه ولأمته .

معالي الشيخ محمد بن عبدالله بن زاهر الهنائي وزير الزراعة والثروة السمكية راعي ندوتنا المباركة هذه ... اصحاب السمو والمعالي ... اصحاب السعادة ... اسرة المحتفى بذكراه ... أيها الحضور الأفاضل واننا إذا كنا ندرك أن عصرنا هذا هو عصر تفجر المعارف الانسانية ، واننا في السلطنة نعي تماماً ما يدور حولنا فان أمراً مثل هذا وذاك يجب أن يدفعنا بصدق إلى أن نكرم من سبقونا من أعلام الفكر والانسانية ، حين صاغوا لنا بجهودهم الخلاقة نسيجاً تراثياً نظموا في قلائد تراث حضاري مشرق ، راجين أن يكون التكريم ليس احتفاءً فحسب بمقدار ما هو وقفة تأمل ومراجعة للنفس نتعرف من خلالها أين نقف وكيف نخطط في انطلاقتنا للمستقبل؟

معالي الشيخ محمد بن عبدالله بن زاهر الهنائي وزير الزراعة والثروة السمكية راعي الندوة ... اصحاب السمو والمعالي ... اصحاب السعادة ... اسرة الحتفى بذكراه ... ايها الجمع الكريم .

لقد كان المرحوم السالمي وأقرانه من علماء عمان يؤمنون أن التاريخ لا يرضى للعلماء الزلل والسقوط في حنايا المتاهات ... بل يريدون أن يكونوا منزهرين فوق كل الشبهات جريئين مصداقين لا يتراجعون عن قول الحق مهما كان الثمن . فإذا زلت أقدامهم فتلك جريرة مابعدا جريرة ، وموقف ما بعده موقف ... فأنصرفوا عن الدنيا ... وأقبلوا على الأخرى ... وكانت علاقتهم بين هذه وتلك كمن يعد العدة للرحيل من دار فانية إلى أخرى باقية ... والسالمي الذي نحتفل بذكره لخير مثال على هذا النموذج من العلماء العمانيين ، فقد كان - يرحمه الله - ... مبارك الطلعة وقوراً نبيلاً مهيباً انصرف إلى العلوم الدينية والفقهية واللغوية ، فامتطى صهوتها ، ولانت له عريكتها برع فيها ونال شهرة عظيمة ... لم يؤثر عنه إلا العفة ... حمل نفسه على المركب الخشن ، إثاراً للمروءة ... والتزم هذا الخلق منذ يفاعته ...

فلا هدنة مع المنكر ... ولا تهاون في تطبيق حدود الشرع ... كان - يرحمه الله - كما كان علماؤنا طرازاً خاصاً من الناس في نقاوة قلوبهم وطيب سريرتهم ، ومحبتهم للخير ، واستعدادهم الفطري لمساعدة كل محتاج ... يكرهون التعصب والجمود ويؤمنون بأن الثقافات في تجدد وتلاحم ... وأن العلم يأتي بالجديد مع كل لحظة. وإنني في ختام كلمتي هذه لأرجو الله أن نكون في هذه التظاهرة العلمية قد حققنا الهدف ورددنا جزءاً من جميل طالما طوق اعناقنا كما يسعدني في ختام كلمتي هذه أيضاً أن أتوجه بالشكر لمعالي الشيخ محمد بن عبدالله بن زاهر الهنائي وزير الزراعة والثروة السمكية الذي تفضل برعاية هذا الحفل التكريمي ... كما اخص بالتقدير الجهود المتواصلة التي يقوم بها صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة في

رسم معالم الطريق أمام المنتدى الادبي ، وتسديد خطواته بتعليماته القيمة ، وملاحظاته الدقيقة ... واتوجه بالشكر الى سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي عام السلطنة على اضاءته التي يشارك فيها ضمن هذا المنتدى الفكري ، وأرحب بضيوف المنتدى الأفاضل فضيلة القاضي اسماعيل بن علي الاكوع من اليمن وفضيلة الشيخ ناصر بن محمد المرموري من الجزائر والدكتور احمد درويش من جمهورية مصر العربية ، ويبقى السلمي علامة مضيئة في دروب الفكر العماني ونجماً يتألق في سماء المعرفة ، وتبقى مؤلفاته مصدر اعجاب المفكرين من دارسين وباحثين ومحققين ، ويبقى - رحمه الله - الى ماشاء الله المعلم المرشد ، والمؤمن المدرك والمؤرخ الموثق ، وختاماً أدعو الله - جلّت قدرته - أن يجعلنا ممن قال فيهم وهو أصدق القائلين ... بسم الله الرحمن الرحيم :

(وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة

الشيخ / سليمان بن محمد السالمي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

قال الله تعالى ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ .

وأكبر فخر لي بأنك لي أب وأعظم نعت لي بقولك ذا ابني

أبي وإذا ما قلته فكأنما أناادي وأدعو ياملأني أياركني

لقد كان - رحمه الله - من الذين قطعوا علائق الشهوات وأسرجوا مراكب المجد بصدق العزمات واتجهوا الى الله بصالح العمل واخلاص النية. وتوسلوا اليه بصفاء القلب وصدق الطوية . فمروا بالخضرة الفاتنة مسبحين. وعن الحطب اللاهب مستعيذين. فلم يعبأوا بالعقبات، ولم يلتفتوا الى المغريات. صانوا وجوههم عن الابتذال وطهروا أقدامهم من الأوحال . استعانوا بالله على صعوبة الطريق. فذل لهم صعبه، وعلى بعده فلملم لهم رحابه. فلما اجتازوا الصعاب سألوا الله فتح الباب. فلما استطابوا المقام بعد حلول السرى قالوا : الحمد لله الذي صدقنا وعده. أولئك أحبنا الله صدقوه العهد فصدقهم الوعد ومحضوه الحب فمنحهم القرب.

من أنست نفسه بالله لم يجد لذة في الأنس بغيره.

ومن أشرق قلبه بالنور لم يعد فيه متسع للظلام.

ومن سمت روحه بالتقوى لم يرض الا سكنى السماء.

ومن أحب معالي الأمور لم يجد مستقراً إلا في الجنة.

ومن أحب العظماء لم يقنعه إلا أن يكون مع محمد ﷺ.

و من أدرك أسرار الحياة لا يرى جديراً بالحب إلا الله.

ان فقيدنا الكبير أجزل الله ثوابه وأعلى عنده مقامه - رحمه الله - كان شديد التحسس لأعراض مجتمعه ، مدركاً لكبرى مشكلاته متابعاً بعقله وقلبه لأهم قضاياها السياسية والاجتماعية منذ أن كان طالباً للعلم حتى آخر أيام حياته. وكان وعيه الاجتماعي يزداد مع مرور الأيام قوة وعمقاً وفهماً واستيعاباً.

لقد كان شديد التحسس لما يهدد المجتمع الاسلامي في بلادنا العربية وفي غيرها من غزو عقائدي، وما يدور في البيئات المثقفة من شبه خول الإسلام . ومن افتراءات وتشويهات دسها المستعمرون والأعداء ، وكان يشعر بمرارة ما ران على المجتمع منذ عصور من مظالم اجتماعية تتحمل وطأتها الكثرة الكاثرة من جماهير الشعب الساذج المؤمن ، الذي كان واحداً من أفرادها. وماكان عليه العرب في عصره من تبعية لغيرهم والائتمار بأمرهم، وارتسمت في ذهنه صورة واضحة لكبرى مشكلاتنا الإجتماعية والفكرية والسياسية.

فانطلق يعالجها بثقافته الاسلامية الواسعة، وحسن فقهه الدين. وبحسه المرفه وإخلاصه الشديد، وخبرته التي دونها كل عاطفة من عواطفه. فعالجها بعمله الدائب ونضاله المستمر في جميع الميادين السياسية والفكرية والاجتماعية بحماسة نادرة وجراءة لاتعرف حداً، وإخلاص شديد وصدق واضح، وصراحة لاتعرف المجاملة.

ومن هنا كانت الخصومات حوله من وجهة النظر وطريق الإصلاح في أسلوب العمل، أو نقصان الوعي لمشكلات الحياة والبعد عن فهمها.

كان - رحمه الله - فاهماً للإسلام أحسن الفهم ، مدركاً لمراميهِ ومقاصده عارفاً من خلال اطلاعه على الكتاب والسنة والآراء

الفقهية لأهداف الشريعة. فأزال بحكمته ما كان في الواقع بين الدين والحياة من جفاء وبُعد. وإنَّ الدين ليس مقالة تكتب في كتاب أو كلمة تلقى في الجماهير، أو مجلة تنشر فترمي بالطريق، أو منحصرأ في فئة صغيرة محدودة لاتصدر منها الا التأوهات والحسرات .. إن الدين من حقه أن تكون هذه الجماهير تشارك في طريق دينها لتسيير العمل لصالح الإسلام لأنه مناط عزها وسبب سعادتها.

لم يكن - رحمه الله - درس في مدرسة منتظمة ولا ممن درسوا في الجامعات الأوروبية بل كان رائداً من رواد الفكر والمعرفة وباعث نهضة وأستاذ جيل، ومُنشئ رجيل، ومؤلفاً كبيراً ومنتجاً عظيماً وعالمأ باحثاً ينظم ذلك كله في فكرة واحدة حملها في عقله وقلبه ونفسه ، وجميع مشاعره. وهي: الدعوة الى الإسلام، ورسالته في الحياة كلها وهي الدعوة الى الله. لم يستغل الدين في سبيل السياسة. بل جعل السياسة خادماً للدين محققاً لأهدافه النبيلة، ووسيلة لخدمة أمتة وتحرير العقول من الشرور والمفاسد والمظالم ، في غير تهور ولا جمود ، فالتهور منقود والجمود مفقود ، وخير الأمور أوسطها.

ولم يكن مقلداً ولا متبعأ إلا الحق. كان يؤمن أن من حق العقل أن يبحث ويدرس ومن حق المجتمع أن يبحث ويدرس. ومن حق الإنسانية على عقل العالم أن يبحث وأن يمتص ذلك الرضاب الكريم من تشريعات رب العالمين. ثم يقدمها جَنَى شهيأ فيه شفاء العقول والقلوب.

ولم يكن خائفاً ولا جبائناً ولا رعيديأ، وإنما واجه الناس بما يؤمن به أنه الحق وأن فيه الخير. إيماناً منه بكرامة الكلمة وكرامة الإنسان لايهمه أن يغضب الناس أو يرضون. انما هدفه أن يرضي الحق - تعالى - وأن يكون الإسلام قاهراً لا مقهورأ.

ليس في الإسلام ولا في التشريعات الإسلامية ولا الفقه الإسلامي العيب. إنما العيب في عقول تقف حجرة جامدة في حق الوطن. فتغلق دونه الأبواب وتضيق حوله الرحاب وتثير في وجه الباحثين التراب . حتى يكون الإسلام لا يتحرك ، مع أن الإسلام دين الحياة منذ كان وسيظل دينها في كل زمان ومكان إلى أن تطوى الأرض ومن عليها وما كان الإسلام أن يواجه الحياة إلا إذا كان متجدداً بحيويته وقوته وسحره وجماله. وصلاحيته حاملة له عقول راجحة فاهمة وزنه. أخلصت دينها لله وأخلصت للحق وجاهدت من أجل أن تجعل هذا الدين مدداً للإنسان في حياته وأن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى. ولئن آثره الله إلى جواره بعد أن أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده. فإنه سيبقى أبد الدهر ملء قلوب الأجيال وعقولها تحفزها ذكرها للمضي في طريق الإسلام العظيم . وان المشعل الذي أوقده - رحمه الله - من نور عقله وقلبه وروحه سيبقى مناراً هادياً لها إلى أن تصل إلى أهدافها أو تستشهد دونها في سبيل الله.

لقد همَّ كثيرون أن يستأنفوا السير على أثارك. فان نجحوا فقد تعلموا ممن عرفت أن تعلمهم إياه. وإن لم ينجحوا فقد أدوا القسط الذي يطيقونه.

فعليك رحمة الله ورضوانه. لقد عشت للإسلام في أوضح معانيه وعملت للإسلام في أحلك زمانه في هجوم عليه من الاستعمار ومن الفساد الاجتماعي في الداخل والخارج وكنت تريد أن تهذب المسلمين وأن تدفع عنهم كيد خصومهم وعداوة أنفسهم لأنفسهم.

وسلام عليك حياً وميتاً. والسلام.

منهج السالمي « في مؤلفاته الفقهية »

محاضرة سماحة الشيخ / أحمد بن حمد الخليلي
مفتي عام السلطنة

بسم الله والحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان الا على
الظالمين.

الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب
وحده.. أحمده - تعالى - لما هو له أهل من الحمد، وأثني عليه واستغفره
من جميع الذنوب، وأتوب اليه، وأؤمن به، وأتوكل عليه .. من يهده الله
فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله الا الله وحده
لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله
رحمة للعالمين وسراجاً للمهتدين، وإماماً للمتقين، ونعمة على الخلق
أجمعين فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة،
صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه المهاجرين والأنصار ،
والذين اتبعوهم بإحسان، وعلى أعلام الأمة العاملين، ومن سار على
نهجهم الصحيح إلى يوم الدين وبعد ..

معالي الشيخ محمد بن عبدالله بن زاهر الهنائي، وزير الزراعة
والثروة السمكية ... أصحاب الفضيلة ... أصحاب السعادة .. أيها
الإخوة الحضور ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

انها فرصة سعيدة أن نلتقي بكم في هذا الصرح الأدبي، وفي هذا المكان
الطيب، في هذه الليلة المباركة الطيبة في ذكرى علم من أعلام الهدى، ونور
من أنوار الدجى، هياؤه الله - سبحانه وتعالى - لتجديد الدين ، ولحماية
الوطن، وللقيام بالتكاليف التي ناطها الله - سبحانه وتعالى - بالعلماء

الراجحين بالعلم، إنه الإمام المجدد العملاق نور الدين عبدالله بن حميد السالمي - رحمه الله تعالى وطيب ثراه -.

وان من أسعد الفرص أن يشرفني صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة بتوجيه دعوته الكريمة اليّ لكي أشارك في هذا المنتدى الأدبي ببحث حول (منهج السالمي في مؤلفاته العلمية والأدبية) وإنها لقلادة فخر قلدني إياها سموه، ولكن أنى لي أن أقوم بذلك مع تراكم الأعمال، وتزاحم الأشغال، ومع قصور الهمة عن القيام بمثل هذا الأمر الجلل، فلذلك اضطررت الى الاعتذار اليه بأنني لا أتمكن أن أقوم بهذه المهمة في وسط هذا الزخم من الأعمال .. اللهم الا أن أشارك بشيء من الحديث أعتصر فيه ذهني، لعلني أجد به بعض ما علق به مما قرأته من مؤلفات هذا العلم الجليل، ولا أستطيع أن أقول بحال من الأحوال بأنني قادر على أن أسلط الضوء على هذا الموضوع لأن الموضوع ليس بحاجة أن يسلط عليه الضوء، وماذا عساه أن يغني ضوء الذبالة إذا سلط على عين الشمس، وإنما قصارى جهدي في هذا المكان أن أتحدث بعض الحديث فيما يتعلق بمؤلفات الإمام المحتفى به الفكرية والفقهية، أما الجانب الأدبي فإن فارس هذا الميدان الأخ العزيز الدكتور ابراهيم بن أحمد الكندي قد أعطاه حقه من الدرس والتمحيص والشرح والتحليل في محاضراته التي شارك بها في هذا الحفل الكريم، كما استمعنا أيضاً الى محاضرة قيمة ألقاها فضيلة الشيخ اسماعيل بن علي الأكوع فيما يتعلق بالجانب التاريخي في مؤلفات الإمام السالمي، وقبلها استمعنا الى العديد من المحاضرات التي تحدثت عن حياته منذ ولادته الى وفاته.

وإنني أؤكد بأن حياة هذا الإمام مهما تحدث عنها المتحدثون، وألف فيها المؤلفون لما أوفوها حقها، فحياته - رحمه الله - حافلة بجلال الأعمال، وإنني لأجد جملة موجزة تتحدث عن مقام هذا الإمام كما

وجدتها في شطر بيت شعري قاله شاعر العرب، الشاعر الإسلامي الكبير أبو مسلم في قصيدة رثاء فيها وذلك عندما قال:

« جمع العالم في حيزومه »

وكفى بهذا وصفاً لهذا الإمام الجليل، كما انني لا أنسى كلمات عذبة قالها شاعر عمان الكبير الشيخ عبدالله بن علي الخليلي في وصف هذا الإمام وإرادته عندما قال:

« الذي هم فضاقت عن هممه همم الدهر وأراد فعجزت عن نفي ارادته ارادة الزمن ».

ولست الآن في مقام الحديث عن حياة الإمام ومنجزاته الكبيرة التي قام بها، فذلك أمر لعله يخصص له ندوة، ولعله يعتنى بتدوين بحوث ومؤلفات فيه ، وانني - كما قلت من قبل - أحرص على أن أعتصر ذهني لعلني أجد شيئاً علق به مما قرأته من مؤلفات هذا الإمام الكبير، فأقدمه اليكم لا على سبيل تسليط الضوء - كما سبق وأن قلت - وإنما هي ومضات أستمدّها من نوره العظيم.

الإمام نور الدين السالمي - رحمه الله تعالى - عني عناية بالغة بالتأليف في مرحلة مبكرة من عمره المبارك ، وقد بارك الله - سبحانه وتعالى - في عمره فأمدنا بما أمدنا به من مواهبه السنية، وتيسر له أن يؤلف في مجالات شتى، حيث ألف في مجال العقيدة، وألف في مجال الفقه وفي اللغة العربية وعلومها وفي التاريخ وفي موضوعات متعددة ، وكان في جميع هذه المجالات التي يؤلف فيها عالماً محققاً جامعاً بين المعقول والمنقول.

وناهيك اذا رأيتم مؤلفاته التي يربط فيها القضية بالدليل ، سواء كانت هذه القضية قضية فكرية أم كانت قضية فقهية في الجوانب العقائدية فاننا نجد انه يجمع فيها ما بين العقل والنقل، وهو لا يقدم العقل على النقل بحيث يرد الدلائل النقلية لمجرد أنه يراها مخالفة باديء

ذي بدء للمدلول العقلي ، ولكنه يحاول أن يستهدي بنور العقل، فيغوص في أعماق الأدلة من أجل اكتناه الحقائق التي يتحدث عنه، كما انه أيضاً لم يطمس على نور العقل فيوفر على حسابه في الجانب النقلي ويتعمى عن الحقائق العقلية؛ بل حاول أن يوائم بين العقل والنقل في بحوثه الكلامية، وهو واسع الإطلاع لا يأنف أن يستفيد من أي أحد كان. وقد عني بمطالعة الكتب التي ألفت في هذا المجال من قبل الفرق المتعددة ، سواء في ذلك الأشعرية والمعتزلة والماتريدية وغيرهم، وأخذ يبحث المسائل التي طرحوها، والقضايا التي ناقشوها على ضوء الأدلة العقلية والنقلية — كما قلت من قبل — واستخلص منها الجوهر الذي قدمه الى قرائه في مؤلفاته وكتبه.

أما الجانب الفقهي فهو — بلا ريب — المقصد العام الذي استطاع أن يربط الفقه بالسنة، وأن يربط الفروع بالأصول، وقد كان واسع الإطلاع في علم الحديث ، كما انه كان واسع الإطلاع قوي المأخذ في علم أصول الفقه، وقد تمكن من ربط الفروع بالأصول، واستطاع أن يأتي في مؤلفاته بتحقيقات لم يسبق إليها في مجالات متعددة، وكان يعتمد أكثر ما يعتمد على الدليل، فلا يكاد يخرج عن الدليل كما بين نفسه منهجه عندما قال:

فإنني أقفو الدليل فاعلما لم أعتمد على كلام العلما
فالعلماء استخرجوا ما استخرجوا من الدليل وعليه عرجوا
فهم رجال وسواهم رجل والحق ممن جاء حتماً يقبل

كان يرفض كل الرفض الاعتماد على أقوال العلماء، لأن أقوالهم — وان جلت منزلتهم — لا تتعدى أن تكون دعاوى تعوزها البيانات إن لم تقتزن بالأدلة، ولربما كان الإمام السالمي — رحمه الله تعالى — عندما يفتي أو عندما يؤلف، لا يعتمد كثيراً على مراجعة المؤلفات السابقة، فلذلك يأتي بقول يذكر فيه أن هذا القول لم يجده لغيره مع انه موجود في بطون

الكتب، ولربما رجع من بعد فذكر بنفسه أنه اطلع عليه بعد أن كان غير مطلع عليه.

من الشواهد على ذلك أنه - رحمه الله تعالى - كان يرجح بأن الخمر اذا تخللت ؛ حلت؛ واعتماده في ذلك على النظر الى مقصد الشرع، فان الشرع انما قصد في تحريمه الخمر الحفاظ على العقول وسلامتها، فاذا زالت العلة، زال المعلول، فحكم الخمر منوط بزوال الإسكار فيها، ومع زوال الإسكار يرتفع عنها الحرم، ولكنه عندما اعتمد هذا القول ذكر انه لم يجده لغيره، وذلك عندما قال:

وبعد أن زال وصارت خالاً فالمذهب المختار عندي حلاً
هذا هو التنقيح في ذا الموطن ولم أجده لسواي فأفطن
ومع أن القول موجود في كتب علماء المذهب وغيرهم، ومن علماء
المذهب الذي ذهبوا الى هذا القول؛ العلامة ابن بركة في الجابية، وذهب
جماعة آخرون أيضاً الى هذا الرأي نفسه.

ويذكر مثلاً في كتابه (مدارج الكمال) حكم المستحاضة فيبني حكمها
على أن الشهر يجمع ما بين الحيضة والطهر، وان أقصى مدة الحيض
عشرة أيام، كما جاء في حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - الذي
أخرجه الإمام الربيع عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد، ونص الحديث:
«أقل الحيض ثلاثة أيام، وأكثره عشرة أيام»، وعلى هذا فعشرون يوماً
تبقى للطهر، ولكنه عندما ذكر هذا الرأي في مدارجه، قال بأنه إنما قاله
من تلقاء نفسه ولم ينقله عن غيره من العلماء وانما استنبطه من هذا
الدليل، وبعد ذلك عندما شرح المسألة في معارجه قال: انه وجد هذا
القول في الإيضاح مع أن هذا القول موجود في الكثير من الكتب، منها
الإيضاح والتيل وشرحه وحاشية الوضع وكتب أخرى نصت على ذلك
الرأي.

وهناك العديد من الأمثلة التي نجد أنفسنا لسنا بحاجة الى التعرض
لها في هذا الوقت تدل على أن الإمام - رحمه الله - كان يعتمد أكثر ما

يعتمد على ما يتوجب اليه من فهم الدليل، وقد كان رأيه يختلف بين الحين والآخر اختلاف كتابه حسب نظره في الأدلة، ولعل مسألة المياه من المسائل التي اختلف فيها رأيه عدة مرات، وذلك أن رأيه في غالب كتبه أن الماء يفرق بين قليله وكثيره، فينجس قليله بمجرد ملاقاة النجاسة، ولو لم يتغير وصف من أوصافه، وهذا الرأي هو الذي نص

الماء منه طاهر مطهر ومنه طاهر لا يطهر
ومنه رفس فيه النفس فالأول المطلق ليس ينجس
أو كان دون القلتن وقعا فيه ولم يتغير فاسمعا
هذا هو الأصح لا ما قفلا ما لم يغيره وإن قليلاً

ثم نجده بعد ذلك يرجع عن هذا الرأي في معارجه، ويرجح الأخذ بالرأي الذي روي عن أبي هريرة وابن عباس - رضي الله عنهما - وقد قال به جماعة أتوا بعدهم، فمنهم جابر بن زيد، ومنهم أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريمة التميمي من علماء المذهب، وهو الذي قال به الإمام أبو نبهان من العلماء المتأخرين، وهو الرأي الشهير في المذهب المالكي، وقال به الإمام الغزالي من علماء الشافعية، واعتمده جماعة من علماء المذاهب الأخرى كالظاهرية، وهو عندهم، لا فرق بين قليل الماء وكثيره، فالماء لا ينجس إلا اذا تغير لونه أو طعمه أو ريحه، هذا الذي اعتبره في معارج الآمال، وكان اعتماده على الرأي مبنياً على عموم الحديث «الماء طهور»^١ لا ينجسه الا ما غلب عليه فيغير من لونه أو طعمه أو ريحه».

وقد رأى الإمام أن هذا الحديث وان كان عاماً لم يأت حديث مخصص يمكن أن يخرج بعض أفراد مدلولاته عن حكم العموم، لأنه قال بأن حديث «إذا كان الماء قدر قلتن فلا يحمل الخبث» هو حديث ظاهره غير مراده، فانه ينص على أنه لا يحمل الخبث، ولكنه يحمل الخبث، كلما كثر كان أقدر على حمل الخبث، فظاهره غير مراده، سلمنا -

كما يقول الإمام - بأن ظاهره متعدد وبين، وذلك انه يبينه الحديث:
«قدر قلّتين ماء لا ينجسه شيء».

إلا أن ذلك الحديث مرسل، ونفس هذا الحديث أيضاً فيه شخص مجهول، فلذلك لا يمكن أن نعتمد على الأحاديث المرسلة، وعلى الأحاديث التي فيها الأشخاص المجهولون، فنخصص بها، وهناك الأحاديث الثابتة الصحيحة، الا انه في شرح المسند - وشرح المسند متأخر عن المعارج كما هو معلوم من تاريخ تأليفه للكتابين - ومن احالته في شرح المسند على المعارج نجده يرجح هذا الرأي ليقول بأن التفرقة بين القليل والكثير هي جمع بين الأدلة الواردة في الأثر، فنرى انه في هذا اختلف رأيه بين الحين والآخر، فكان له رأي، ثم رجع عنه الى غيره، ثم رجع بعد ذلك الى الرأي السابق.

على أن من قرن بين ترجيحاته في المعارج، وفي شرحه على مسند الإمام الربيع بن حبيب - رحمه الله - وجد أنه في شرح المسند كان أكثر اعتماداً على جانب الحديث منه في المعارج، وانما يرجع ذلك إلى سعة أفقه في علم الحديث بعد سفره الى الحج في عام ١٣٢٣هـ، واجتماعه هناك بعلماء الآفاق، ومن بينهم العلماء المتخصصون في علم الحديث، وماكان بينه وبينهم من مناظرات، وهذا الرأي دعاه الى الرجوع لكثير من المؤلفات الحديثية، فكان كثيراً ما يحرص على المطالعة في الأمهات الست، وغيرها من كتب الحديث، والتي بصماتها ظاهرة على غيرها، ومن أمثلة ذلك؛ انه كان في (المعارج) يرجح بأن المصلي إذا شرع في الصلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، ففاجأته الشمس في الطلوع وفي الغروب فعليه أن يقصر، وهذا الرأي المشهور في المذهب وله علماء مناصرون أيضاً، غير علماء المذهب، ولكنه في شرحه على المسند الصحيح اعتمد على المذهب الآخر الذي يقول: انه يستمر في صلاته، ولا يلتفت الى طلوع الشمس لأنه نهي عن الشروع في الصلاة لا عن الإستمرار فيها، وهذا

الرأي يستند الى حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - «من صلى ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فليتم صلاته، ومن صلى ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فليتم صلاته» فقد بنى رأيه هذا على الحديث ، مع انه أشار الى هذا الرأي في المعارج، وذكر بأنه يوجد في كتب أهل البر، ثم قال: ولعله قول الأقدمين، أشار اليه في (التضعيف) في المعارج، ولكن هذا الذي صححه واعتمد عليه في شرحه على مسند الإمام الربيع بن حبيب.

هذا ولربما أصل أصلاً، واعتمده في تأصيلاته، ولكنه يخالف ذلك الأصل فيما بعد، وهذا - فيما يبدو لي - انما يبنى ما يبنيه من رأي عندما يخالف أصله على النظر في مقاصد الشرع تارة، وعلى النظر في سد الذرائع تارة أخرى.

ومن أمثلة ذلك انه يقول في (شمس الأصول) بحكم الاستثناء، وهذا الحكم ينطبق على جميع التخصيصات المتصلة:

واحكم به لكل إن تلا جمل	معطوفة الا لمانع حصل
كاكرم ببني مخزوم واعط السائل	الا فتى رأيتنه مجادلا
وقال قوم هو للأخيرة	وههنا مذهب كثيرة
أصح دين أول القولين	وسائر الأقوال دون دين

ونذكر في شرح هذه الأبيات خمسة أقوال في المسألة، وصحح القول الأول الذي صححه في المتن، ولكنه نفسه في جوهره يخالف هذا التأصيل عندما قال بأن شاهد الزور وقاذف المحصنات، وان تابا لاتقبل شهادتهما، وذلك أنه قال:

في سورة النور أتى لا تقبلوا له شهادة فكيف تفعلوا
مع أن التأصيل هنا يقتضي خلاف ذلك، وذلك لأنه قال بأن الاستثناء يعود على جميع الجمل المتقاطعة، اذ حكم العطف أن يشرك الجمل المتعاطفة فيجعلها كجمله واحدة وهذا - فيما يبدو لي - راجع الى النظر

في سد ذرائع الفساد، إذ لعل هذا الشاهد الذي شهد زوراً فيه بقية من مخالفته لطريقة الحق ، وتوبته التي تظهر لنا بتوبة أصولية، ولم ير أن تهدر الحقوق، وتنقل الأموال من ملك للملك بمجرد مثل هذه الشهادة.

على أن مخالفة الفروع للتأصيلات عند العلماء موجودة في كثير من المذاهب الفقهية، وكثيراً ما تجد مذهباً معيناً يؤصل أصلاً ثم بعد ذلك عندما نرجع الى فروع الفقه في ذلك المذهب نجد أن الفروع جاءت على خلاف تلكم الأصول؛ وفي مسألة واحدة، وقع في هذه المسألة علماء الشافعية والمالكية والحنفية وهي مسألة الكافر إذا لجأ الى الحرم، ولنستمع الى العلامة المالكي الكبير ابن العربي، ماذا يقول في هذه المسألة عندما يحكي مناظرة وقعت بين أحد علماء الحنفية، ورجل آخر حنفي دخل عليه، فأراد العالم أن يختبره.

يقول العلامة ابن العربي: كنت في البيت المقدس - طهره الله - بمسجد أبي عقبة الحنفي، والقاضي الجرجاني يلقي علينا الدروس في يوم الجمعة، فبينما نحن كذلك، إذ ظهر علينا رجل بهي المظهر ، عليه الأطمار، فسلم تسليم العلماء وتصدر في صدر المجلس بمدارع الرعاع، فقال القاضي: من السيد؟ على عادة كرام العلماء في المبادرة بالسؤال، فوقعت القرعة على مسألة الكافر اذا لجأ الى الحرم هل يقتل؟ فأجاب بأنه لا يقتل، فطوب بالليل فقال: الدليل قوله تعالى ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾.

الآية فيها قراءتان:

- الأولى : ﴿لَا تَقَاتِلُوهُمْ﴾ وهي نص بالموضوع.

- والثانية: ﴿لَا تَقَاتِلُوهُمْ﴾ وهي دالة على النهي عن المقاتلة التي هي

سبب القتل، وإذا امتنع السبب امتنع السبب.

فقال القاضي منتصراً لمذهب مالك والشافعي، وإن لم ير رأيهما: هذه الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحَرَامُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ

حيث وجدتموهم ﴿ فاجاب : هذا لا يليق بمنصب قاض مع الدلالة بأن الآية التي احتجبت بها خاصة، والآية التي اعترضت بها عامة، والخاص لا ينسخه العام، فبهت القاضي من سرعة جوابه، وهذا من غريب الكلام.

هذه المناظرة التي وقعت بين عالين حنفيين في هذه المسألة، وكلاهما في وجد من حاله، ولكن أحدهما أراد أن يختبر الآخر، فطرح عليه هذه المسألة أولاً، ثم بعد ذلك سأله عن الدليل، ثم اعترضه على الدليل، ثم سمع الإجابة، وقد كانت الاجابة — كما فهمت — بأن الدليل الخاص ﴿ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾ لا يمكن نسخه بالدليل العام وهو قوله تعالى عز وجل ﴿فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾، و (حيث) لعموم الأمكنة، فيدخل في مدلولها ما حول المسجد الحرام أي (الحرم الشريف)، ولكن بما أن تلك الآية المتقدمة كانت خاصة، فلا يقوى هذا العموم على نسخ ذلك الخصوص لأن العام ظني الدلالة، وإن كان قطعي المتن، والخاص قطعي الدلالة، فإن كان قطعي المتن، كانت حجته قطعية — بلا ريب — مع أن تأصيلات الحنفية تدل على أن العام عندهم هو قطعي الدلالة كالخاص، ودلالة العام قطعية، ولذلك يبنون على ذلك بأن الأدلة العامة يمكن أن تنسخ الأدلة الخاصة.

والشافعية والمالكية في هذه المسألة يرون رأي الجمهور في تأصيلاتهم، فيرون أن الخاص قطعي الدلالة، والعام ظنيها، فلا يمكن للعام أن ينسخ الخاص، ولكنهم في هذه المسألة، فرعوا على غير أصلهم، والحنفية فرعوا على غير أصلهم، فالشافعية والمالكية فرعوا على أصل الحنفية، والحنفية فرعوا على أصل الشافعية والمالكية.

والإمام السالمي — رحمه الله تعالى — كان كما سبق وقلت — غير متحيز إلا إلى الدليل، وقد كانت كتبه ملأى بآراء علماء المذاهب الإسلامية

المختلفة، وكان يحرص دائماً على ما يجمع الشمل، ويرأب الصدع، وكان يستفيد مما كتبه الكاتبون من العلماء البارزين في شتى المجالات، فقد كان كثيراً ما يعتمد في التفسير على الإمام الفخر، وبصمات تفسير الإمام الفخر واضحة على (معارج الآمال) . ففي المقدمة الكثير من أصول الدين بل وفي سائر الكتب.

ففي المسائل الفرعية؛ نجد كثيراً من أقوال الإمام الفخر، نجد جملاً واسعة من نصوص كلامه في أجزاء المعارف المختلفة، ففي المسائل العقائدية التي بحثها الإمام، وأشبعها بحثاً، وكان كلامه مفعماً بكلام الإمام الفخر، (مسألة التكليف بما لا يطاق أو التكليف في المحال).

ومن المسائل الفرعية التي نقل فيها كلام الإمام الفخر بنصه وفصّحه مناقشته للحنفية في اجازتهم قراءة الفاتحة بالفارسية، كما انه قد يورد للإمام الفخر كثيراً من المسائل التي يكون له فيها رأي مخالف لرأي الإمام الفخر، من أمثلة ذلك؟ مسألة (الضاد) و (الطاء) ، فالإمام الفخر يرى أن التقارب بين المخرجين يقتضي التسامح في هذين الحرفين، فلو أن أحداً أخطأ، فأخرج (الضاد) من مخرج (الطاء)، والعكس لا يؤدي ذلك الى أي حرج في صلاته.

وكان الإمام نور الدين له رأي يخالف هذا الرأي ، وقد تعقب كلام الإمام الفخر، بأن لكل حرف من هذين الحرفين مخرجاً خاصاً، ويجب أن يخرج كل منهما من مخرجه، وان على من لا يحسن اخراج هذين الحرفين من مخرجيهما أن يتعلم ذلك.

كما أشبع (معارج الآمال) وشرح (المسند) بتحقيقات الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، ويبدو أن الإمام كان معتنياً بالفتح أكثر من غيره من شروح كتب السنة، وما أجدره بذلك، ويبدو أن عنايته بالفتح كانت قبل سفره الى الحج بفترة من الوقت، فقد كان يعتني بهذا الكتاب، وبصماته واضحة على شرحه على (مدارج الكمال) وشرحه على (مسند الإمام الربيع بن حبيب).

هذا ؛ وقد كان الإمام لا يخفي أيضاً نزعته الإصلاحية في آرائه الفقهية، فقد كان يواجه المجتمع الذي ربما كان يحرص على آراء العلماء السابقين، ويرى أن لتلك الآراء قدسية، ولكن الإمام السالمي في مواجهة ذلك، يأتي بالقول الذي يترجم بالدليل وربما واجه الذين يعارضونه في ذلك مواجهة عنيفة، ومن أمثلة ذلك مثلاً مسألة الأذان التي كان للمجتمع العماني فيها عمل خاص، إذ كانوا يرون أن يقيم الإمام دون المؤذن، والإمام السالمي - رحمه الله - رأى الرجوع في هذه المسألة الى ما كان عليه السلف، وقد شدد النكير على الذين خالفوا نهج السلف في هذه المسألة، كما هو واضح في معارجه وفي فتاواه، وفي جوهره، ولربما واجه معارضة من بعض الجامدين في عصره، فأدى به ذلك الى رد عنيف عليهم كما في قوله:

ان كان في سنته من أذنا	فهو يقيم وعليه صحبنا
حتى أتى من جهلوا المسنوننا	وهم بالاحتياط يدعوننا
فبدلوا وباليتهم ما بدلوا	ورسخت بقلب من لا يعقل
حتى ادعاهها سنة واحتالا	على ما ثبتوها بما قد قالا
وهي لعمري جـدل محرم	لأنه يقول ما لا يعلم
وانه ساع لهدم السنه	بجهله كفى بهذا محنه
لو كان سنة كما قد زعما	لم تفتن أسلافنا والعلماء
كيف تكون سنة مخالفة	لما عليه العلماء السالفه
وفعله صلى عليه ربه	مشتهر مضى عليه صحبه
والخلفاء الراشدون أجمع	إلى أنتهائهم عليه أجمعوا

فترون أن الإمام يحرص على اتباع ما كان عليه رسول الله ﷺ وما كان عليه خلفاؤه الراشدون، وما كان عليه سائر الصحابة - رضي الله عنهم - ولا يؤثر عليهم قول أحد من غيرهم، وقد يواجه ما كان عليه العمانيون من قبل بحزم وعزم وشدة، حتى استطاع أن يغير تلك الحالة التي كان عليها من قبله، ومن أمثلة ذلك أيضاً، مسألة الأوقاف الموقوفة

على قراءة القرآن في المقابر، فقد شدد النكير على من يرون جواز قراءة القرآن في القبور، ومع احترامه للعلماء السابقين، فانه لم يبال بمخالفتهم في ذلك وبين أن القول الصحيح السليم هو الذي تعضده سنة، وانه لايبالي في مخالفة من خالف ما دام متمسكاً بالسنة، فقد قال انكاراً على قراءة القرآن في القبور:

أتعمر قبورنا الدوارس ولو تردد اليها المدارس
وهذه المساكن المعدة نجوبها وهي لذلك عدة
والمصطفى قد زارها وما قرا الأ سلاماً ودعا وادبرا
حسبك أن تتبع المختاراً وأن يقولوا خالف الآثارا

وفي مؤلفاته العقائدية والفكرية يحرص أيضاً على ما يجمع شمل الأمة ويلم شعثها، ويوحد كلمتها، ويرأب صدعها، ولذلك كان يحرص على حسن الظن بالمسلمين الذين يدينون لله - تبارك وتعالى - بالشهادتين، لأن للشهادتين حرمة عظيمة، ومن أمثلة ما قاله في ذلك ما جاء في أرجوزته (كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة) عندما قال:

ونحن لانطالب العبادا فوق شهادتين واعتقاداً
فمن أتى بالجملتين قلنا اخواننا وبالحقوق قمنا
إلا اذا ما أظهروا الضلالا واعتقدوا في دينهم محالا
قمنا نبين الصواب لهم ونحسبن ذلك من حقهم
فما رأيت من التحرير في كتب التوحيد والتقرير
حد مسائل ورد شبهه جاء بها من ظن بموجبه
قمنا نردها ونبدي الحقا بجهدنا كي لا يضل الخلقا
لو سيكتوا عنا سكتنا عنهم ونكتفي منهم بأن يسلموا

ولا أدل على حرصه على جمع الأمة تحت لواء التوحيد من رسالته الجوابية ، التي وجهها الى المصلح والقائد الكبير الشيخ سليمان باشا

الباروني عندما سأله عن رأيه في اجتماع المذاهب الإسلامية تحت كلمة سواء ، تحت كلمة واحدة، وما ينبغي أن يتخذ من الوسائل من أجل ذلك ، وقد أجابه اجابة شهيرة، وهي موجودة في فتاواه، وكتب أخرى . هذا ، وقد كان للإمام نور الدين السالمي - رحمه الله - طموح الى إصلاح المجتمع، وتحقيق العدالة، وجمع الكلمة، وقد كانت مؤلفاته تنم عن ذلك، ولذلك عندما نذكر مواجهة الظلم والظالمين وتحقيق العدل ، نجد طموحه يتجلى في كلماته، من أمثلة ذلك ما قاله عندما ذكر المرداس مبايعته أصحابه على الشراء من أجل اعلاء كلمة الله:

بايع صحبه على الشرا وما طال زمانه الى أن يكرما
نالوا الشهادة التي قد طلبوا وبرضى الرحمن منها انقلبوا

كما انه عندما ذكر الإمام اليمني طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي، وما قام به من الإصلاح المالي عندما فتح صنعاء، ووجد خزائن الأموال فيها الكثير من المال الذي جبي من أهل صنعاء بغير حق، فما استباح أن يأخذ من ذلك شيئاً لنفسه ولا شيئاً لأصحابه، وقد سجل الإمام ذلك بعبارات تنم عن اعجابه العظيم بمثل هذا المذهب، وتطلعه الى مثل ذلك العمل، ولذلك قال:

وطالب الحق بصنعا حكما بجعلها في أهلها واحتشما
لم يأخذن من مضيق يومه شيئاً من السر ولا لقومه
تعففاً منهم ومن كمثلهم أكرم بهم من عصبه أكرم بهم
وانهم ماتوا على ما أبصروا من الهدى ما بدلوا أو غيروا

كما انه أيضاً كان يبدي اعجابه بفحول العلماء والأئمة الذين يتصدون للظلم، ويقفون في وجهه، ويجرأون على اصدار الأحكام والفتاوى التي تتفق ومصلحة الأمة في مواجهة الظلم والظالمين، كما

يتضح ذلك عندما أبدى اعجابه بمسلك الإمام عمر بن الخطاب الخروصي، ومسلك الإمام عزان بن قيس بحسم الحكم الذي أفتى به، وحكم به المحقق الخليلي في ذلك الوقت، وقد قال في هذه المسألة:

وفي بني الـيـحـمـد أسـد الشـرى	إمام صدق كان يدعى عمرا
كـذا أبـوه يدعى بالخطاب	مساميا لعمر الصحابي
من نسل شـاذان وذاك العلم	دوَّخ أهل الظلم حين ظلموا
فقد قضى على بني نـهـانـا	جبابراً كانوا على عمانا
قضى بأن مـالهم لمن ظلم	من العـمـانيـين لكن ما علم
فجعلوا ذلك بيت مال	لجهلهم بمالك الأمـوال
شابهه بالاسم والتصلب	على أولي الظلم فلا تستعجب
ولخفاء هذه الدقائق	وحسن فهمها على الخلائق
قاموا يخاصمون من بها حكم	أيام عـزان وذلك العلم
افتى به في الماء والنخيل	إمامنا المحقق الخليلي
فاستنكروه وهو لم يستنكر	لأنه الواضح مثل القمر

هكذا نجد شخصية الامام العلمية والعملية تتجلى في مؤلفاته ، والمجال واسع في ذلك ولكن المدة قصيرة والوقت أزف وقد أخذت منه اكثر مما اعطيت ، ولذلك اعتذر اليكم ولا أنسى أن اذكر أن الامام - رحمه الله - مع علمه الواسع ، وشجاعته الفائقة وشخصيته الفذة كان ورعاً زاهداً عابداً ، يخشى الله - تبارك وتعالى - ويتقيه ، ويراقبه في سريره وعلا نيته ، ويخلص له العبادة ، وقد أتى بأوصاف رائعة له ولحزبه العلامة أبو مسلم في رثائه للامام نور الدين السالمي عندما قال في وصفهم.

خبت إذا جنّ الظلام رأيتهـم	طاروا إلى الملكوت بالاسرار
غر إذا عم الظلام على الـورى	سجدوا على البغفات كالاحجار

هذه هي صفات الإمام، وهذه ومضات مما تركه لنا من ثروة علمية

هائلة، وانني أهيب بالشباب الطامح أن يبحث في هذه الكنوز ليغرف من معينها الثر الفياض ما يفيد الأمة، وأسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يتعمد الإمام السالمي بوسع رحمته، وأن يسكنه فسيح جنته، وأن يبارك في جهوده وأعماله، وأن يجعل في الخلف الصالح من يمشي على طريقه في الاستقامة على الحق، واتباعه، والحرص عليه.

ولا يفوتني أن أشكر في هذا المقام صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة على هذه البادرة الطيبة، وأشكر هذا المنتدى وأشكر الأخ العزيز سعادة رئيس المنتدى على هذه الجهود الجبارة من أجل الخروج بالتراث العماني الأدبي والعلمي من مضائقه التي يقبع فيها إلى الانطلاق الفسيح بحيث يدرس على مسمع ومرأى من الحاضرين والغائبين، بحيث يسمعه السامعون، ويتلوه التالون، في هذا الوقت الذي حرص فيه القائد الملهم المفدى - بارك الله في حياته - على أن يكون حلقة تصل المستقبل المشرق بالماضي العريق، حتى يضم طارف المسجد الى تليده، فأسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك في الجميع، وهو ولي التوفيق.

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وشكراً لكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المنهج العلمي « في مؤلفات السالمي التاريخية »

إعداد / فضيلة الشيخ اسماعيل بن علي الأكواع

لاجرم أن من يطلع على كتاب «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان» للشيخ العلامة الضرير نور الدين عبد الله بن حميد السالمي المتوفى سنة ١٣٣٢ هجرية سيشاركني الرأي في أن مؤلفه كان ذا دراية واسعة ومعرفة بعلوم متعددة، ومعارف جمة متنوعة، فهو أديب شاعر، وفقه بارع، وهو عدا ذلك مؤرخ ملم بتاريخ بلاده في جاهليتها وإسلامها، كما يعرف كذلك مدى علاقتها بالدول المجاورة لها في الجزيرة العربية ، وفي بلاد فارس، حيث هيأت له هذه المعارف العديدة أن يضرب بسهم وافر في ميدان التأليف، فكان كتابه «تحفة الأعيان» أحد ثمار معارفه الواسعة. وهذا الكتاب، وعلى الرغم من صغر حجمه بالنسبة لمكانة عُمان الدولية التاريخية، وموقعها الجغرافي الاستراتيجي الهام فقد حوى بين دفتيه خلاصة تاريخ عمان منذ فجر التاريخ حتى عصر مؤلفه، وهو لاريب حصيلة جهد كبير من الاطلاع في أمهات كتب التاريخ العامة، وكذلك كتب التاريخ الخاصة بعمان، والتي كان سيسعد قراء كتابه بذكرها كلها عند النقل منها، أو الاستشهاد بما ورد فيها مما يتعلق بمواضيع كتابه، علماً أن اغفال ذكرها غير المقصود لا يقلل من قيمة كتابه، ولا ينقص من مكانته العلمية، لأن الشيخ نور الدين السالمي - موضوع كلمتنا هذه - كان حصيفاً، أميناً فيما يملئ على كاتبه حتى لو كان بالمعنى فإنه لا يبعد كثيراً عن النص.

تبين لي ذلك من خلال ايراده في الجزء الثاني من كتابه المذكور (صفحة ٥٧) رسالتين متبادلتين بين إمام عمان سلطان بن سيف ، وبين

ملك اليمن الإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم محمد، وكلاهما من أعيان
المئة الحادية عشرة للهجرة، فقد قابلت بين نص هاتين الرسالتين على
نسخة أخرى لهما موجودة في خزانتي فوجدتهما متطابقتين لا يختلف ما
في «تحفة الأعيان» عما عندي إلا في ديباجة الرسالتين، وفي بعض ألفاظ
لا تخرج عن المعنى في شيء وامانته تتمثل في انه أتى بنص رسالة ملك
اليمن بحذافيرها، ولم يغير أو يبدل أو يعدل في ألفاظها على مافيهما من
إرعاد وإبراق، وإنذار وتهديد، ووعد بالويل والثبور ووخيم العقاب
لأمام عُمان. وغاية ما فعله الشيخ نور الدين السالمي أن عقب على هذه
الرسالة بقوله: «وبكل أسف انا لم نقف على جواب الأمام — أي إمام
عمان — لهذا الكلام ! ثم قال: وأئمتنا بحمد الله تعالى ممن ذكرهم الله في
كتابه بقوله: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾، والذين يبيتون
لربهم سجداً وقياماً ﴿ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴾ والذين لا يشهدون الزور وإذا
مروا باللغو مروا كراماً ﴿ (النور ٦٣ - ٧٢) فهم الأئمة الفعالة، وغيرهم
الأئمة القوالة، وكان هذا الرجل — يقصد ملك اليمن — زيدي المذهب،
وكأنه يثبت الوصايا لعلي، وما افتخاره بقتل أهل النهروان الا كافتخار
اليهود بقتل عيسى ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ (النساء
١٥٧) ، وكذلك من قتل في سبيل الله ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة ١٥٤) . ثم قال: ودلائل
الحال تقتضي أن بينهما وقوع وقائع، ولكن لم نطلع على شيء من ذلك.
وتمكن هذا الأمام — أي إمام عمان — من اليمن والهند وغيرهما يقتضي
أن الأمر صار على خلاف ما يزعمه ملك صنعاء، وكذلك تمكن الأئمة
من بعده فانهم قد ذكروا لهم من القوة والسلطان والتمكن من البلدان
الناحية والأقطار القاصية، وذلك يقتضي ان الامام ومن بعده قد تمكنوا
من اليمن وغيرها ما خلا صنعاء فإننا لم نجد تاريخاً في التمكن منها
بنفسها.

وأما آثارهم - أي آثار أئمة عمان - فظاهرة في أطراف اليمن ، والله أعلم بما وقع بعد تلك المخاطبة، ثم ختم تعقيبه بقوله : والأمر لله وحده ملك الملك يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، والحمد لله رب العالمين.

وفي هذا التعقيب شيء من الغموض فإن أراد الشيخ نور الدين السالمي - رحمه الله - أن نفوذ أئمة عمان قد شمل اليمن وغيرها ما خلا صنعاء، فهذا خبر هام جداً، أقرأه لأول مرة، وكان عليه أن يذكر مصدر هذا الخبر فإني لا أعرف في حدود علمي أن شيئاً قد حدث من ذلك. وإن أراد بالتمكن انتشار المذهب الإباضي وظهوره في اليمن فهذا صحيح ولا غبار عليه. فقد انتشر في أصقاع من بلاد حجة، وفي بلاد السودة في المئة الخامسة للهجرة على يد الحطييط بن عبد المجيد الإباضي، ويذكر بعض مصادر التاريخ اليمني أن الأمير ذا الشرفين قد جند جنوده لمحاربة أتباع هذا المذهب حتى أخرجهم عنه، وحولهم إلى المذهب الزيدي الهادي، كما انتشرت كذلك في مخلاف حضرموت، وربما كان ذلك على يد عبدالله بن يحيى الكندي الحضرمي الإباضي المعروف بطالب الحق، وقد استمرت هذه الطائفة في هذا المخلاف حتى المئة السادسة ، ثم ساد بعد ذلك المذهب الشافعي.

أما المذهب الذي سلكه الشيخ نور الدين السالمي، والذي هو عنوان هذه الكلمة فإنه أقرب إلى منهج المؤرخين المتقدمين منه إلى المنهج الحديث، ذلك أنه وضع لكل مرحلة من مراحل تاريخ عمان عنواناً ملحقاً بكلمة (باب) ويندرج تحته موضوع معين ، يتناول فيه ذكر ما يتعلق بتلك المرحلة من شتى جوانبها المختلفة. ولعله قد تأثر بمنهج الإمام اللغوي النحوي أبي العباس محمد بن يزيد المبرد الأزدي العماني المتوفى سنة ٢٨٥ في كتابه المشهور (الكامل في اللغة والأدب) الذي استعمل كلمة (باب) عنواناً لكل فصل من فصول كتابه من دون أن يضيف إليه ما يميزه عن سائر الأبواب الأخرى إلا بما يتبعه من أخبار.

وقد افتتح الشيخ السالمي كتابه بالتعريف بعُمان مستعيناً بما قاله ابن خلدون والمسعودي صاحب كتاب «مروج الذهب» في وصف عمان وتحديد مكانه من جزيرة العرب وذكر حدوده ومن سكنه، وذكر أشهر جباله وسهوله وأنهاره وشواطئه وخيراته، وأنواع ما يزرع فيه من ثمار وفواكه.

ثم خص الباب الأول من كتابه بفضائل أهل عمان، وخلص بعد ذلك الى ذكر بعض علمائه وزعمائه وقادته وأعيانه فذكر من علمائه الخليل ابن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠ مؤسس علم العروض والقوافي، وصاحب كتاب (العين) في اللغة، وذكر المبرد الذي تقدم ذكره، ثم ذكر أبا بكر أحمد بن محمد بن دريد الأزدي المتوفى سنة ٢٢١ صاحب كتاب «الاشتقاق» كأمثلة مشرقة على ما لهؤلاء العلماء وغيرهم الذين هم أزدبو النسب عمانيو المحدث من أياد بيضاء على الحضارة الإسلامية.

ثم ساق الشيخ السالمي أخبار بلاده باباً باباً حتى انتهى الى زمنه . ويمكننا أن نصنف تاريخ عمان الى عدد من الفترات الزمنية التي لها بداية ولها نهاية فتبدأ الفترة الأولى بدخول العرب الأزدية الى عمان وانتزاعها من أيدي الفرس الذين كانوا قد تملكوها، فجاء العرب اليها من اليمن بعد خراب سد مأرب فأزاحوهم عنها.

وهنا لابد من الإشارة الى ذكر أسباب انهيار سد مأرب أعظم معالم الحضارة البيئية لما في ذلك من عظة وعبرة لمن اعتبر، فالمؤرخون المسلمون قد قصروا السبب في خرابه على فعل الفأر الذي تقول الروايات التاريخية أنه ظل يحفر في جسم السد حتى تسرب الماء من الثقوب التي حفرها فانهار بنيانه المشيد والى ذلك أشار الشاعر المؤرخ عمارة بن علي اليميني الحكمي في قوله من قصيدة:

ولا تحتقر كيد الضعيف فربما تموت الأفاعي من سموم العقارب
فقد هد قدماً عرش بلقيس هدهد وخرب حفر الفأر سداً لمأرب

أما علماء الآثار فانهم يعزون خرابه الى تراكم الطين الذي كانت تحمله السيول الى السد حتى امتلأ به حوض السد فسد منافذ الماء ومخارجه فلم يقو جسم السد على تحمل ذلك الثقل فانهار السد.

ومهما كانت الأسباب فقد غفل المؤرخون عن ذكر السبب الذي تضمنته الآيات البينات في قوله تعالى ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خبط وأثل وشيء من سدر قليل، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور، وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين ، فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴿ (سبأ ١٥ - ١٩).

ويدخل ضمن الفترة الأولى من تاريخ عمان فترة حكم مالك بن فهم مؤسس الدولة العربية في هذا البلد المبارك وكذلك حكم أولاده الذين توارثوا الحكم بعده حتى انحسر الملك عنهم لتبدأ المرحلة الثانية بانتقال الملك الى بني معولة بن شمس الذين استمر الملك فيهم الى بداية ظهور الإسلام وتبدأ المرحلة الثالثة بدخول أهل عمان في دين الله أفواجاً ويتولى حكمها ولاية مرسلون من عند رسول الله ﷺ، ثم من عند الخلفاء الراشدين ثم من قبل الخلفاء الأمويين، ثم من قبل السفاح الخليفة وفي عهده تبدأ الفترة الرابعة فقد عقد العمانيون للجلندي بن مسعود بن جيفر بن جلندی الإمامة على عمان فكان أول إمام لها في تاريخها وقد استمر نظام الإمامة في عمان معمولاً به الى عهود متأخرة رغم الصراع الشديد بين الأئمة على الحكم حتى بلغ الأمر ببعضهم الى المشاجرة فالقتل. وبينما هم على هذه الحالة اذ تأتي الطامة الكبرى وهي بداية المرحلة

الخامسة فقد أرسلت الحكومة البرتغالية حملة صليبية تبشيرية مزودة بالأسلحة النارية التي ظهرت لأول مرة في ذلك الحين فجاءت عن طريق رأس الرجاء الصالح للسيطرة في ظاهر الأمر على الطرق البحرية لاحتكار التجارة الدولية وإحكام قبضة أيديهم على مصادرها، ولكنهم كانوا يهدفون في قرارة أنفسهم الى إعادة الكرة بشن حروب صليبية أخرى على المسلمين، فقد أشاعوا انهم سيهاجمون المدن المقدسة عند المسلمين، وشجعهم على ذلك بل وجراهم زوال الدولة العربية الإسلامية من الأندلس على أيدي الأسبان، وماكان في استطاعتهم فعل شيء في المسلمين لولا انقسامهم على أنفسهم واستعانة حكام بعضهم بالافرنج على بعضهم الآخر مما يسر القضاء على دول الطوائف جميعها، وما أشبه اليوم بالبارحة، وقد جابت السفن البرتغالية مياه البحر الأحمر في محاولة منها الى النزول في موانئ الحجاز فلم يجرأوا ونزلوا في جزيرة كران ثم تخلوا عنها بعد ردم آبارها وهدم معقلها واتلاف أبرز معالمها، ثم ذهبوا الى عدن ونزل بعض قواتهم الى سواحلها، ولم يطق البقاء فيها كثيرا لحصانة المدينة فيممت بعدئذ صوب الخليج وتمكنت من نزول قواتها في بعض الشواطئ العمانية وتحصنت بمعقلها، ولولا الصراع بين أئمتها لما تمكنت تلك القوى الغازية من وجود موطئ قدم لها، ولم تلبث الا قليلاً حتى هب المسلمون وعلى رأسهم قوات من الجراكسة جاءت من مصر للدفاع عن ديار المسلمين فاندفع العمانيون لمقاومة وجود البرتغاليين، وكان لإمام عمان سلطان بن سيف بن مالك نشاطاً بارز في ملاحقة سفن النصارى، وقتل من ظفر به منهم كما يتضح ذلك من رسالته الى امام اليمن المتوكل اسماعيل الذي سبق الإشارة اليه في صدر هذه الكلمة حيث قال: «واتضح لناس واضح نطقه - أي من نطق رسول المتوكل الى إمام عمان - بيانه أنكم علينا عاتبون ومنا واجدون لأجل قطع خدامنا في العام الماضي مراكب رقاب المشركين على بابكم،

وأخذهم لسفنهم الواردة لجنايبكم، ولعمري انا لندري أن العتاب بين الأخلاء عنوان المودة الخالصة والصفاء، وزائد محض المودة الصادقة والوفاء. غير أنه يجب عند اقتراف الجرائم وانتهاك المحارم، فانا نحن لم نقصد الى انتهاك ذلك سبيلاً، ولا نجد لك على الزام فعل ذلك دليلاً، اذ كنا لم نجهز مراكبنا ونتخذ مخالبتنا لسيارة رعيتك ولا استباحة دم أهل حكمك وقضيتك، ولكن جهزنا الجيوش والعساكر، وأعدنا للهازم والبواتر لتدمير عبدة الأوثان وأعداء الملك الديان تعرضاً منا لرضاء رب العالمين واحياء لسنة نبيه الأمين، ورغبة في ادراك أجر الصابرين المجاهدين. وحاشا لمثلك أن يغضب لقتال عبدة الأصنام وأعداء الله والإسلام ثم أخذ يخاطب إمام اليمن قائلاً له «ألست من سلالة علي بن أبي طالب الساقى للمشركين وبني المشارب. أنت تدري بما جرى بيننا واياهم من قبل في سواحل عمان، وفي سائر الأماكن والبلدان من سفك الدماء وكثرة الصيال، وتناهب الأملاك والأموال، وانا لناخذهم في كل موضع تحل به مراكبهم وتغشاه حتى من كنج وجيرون بندري الشاه ولم يظهر لنا من أجل ذلك عتاباً ولا نكيراً».

وقد انزعج النصارى من المقاومة العنيدة لهم التي أظهرها العمانيون فكتب النصارى الى إمام عمان سيف بن سلطان اليعربي المتوفى سنة ١١٢٣ هجرية هذا الخطاب كما ورد في «تحفة الأعيان» (ج ٢/ ١٠٨).

«الحمد لله فاطر السموات والأرض أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا يختلفون، اعلم بأننا جنود الله مخلقون من سخطه، مسلطون على من يحل عليه غضبه، لانرق لشاكي، ولا نرحم عبرة باكي، قد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل كل الويل لمن لم يمتثل لأمرنا وقد خربنا البلاد، وأهلكنا العباد، وأظهرنا في الأرض الفساد فان أعجبكم شرطنا كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا. وان أنتم أبيتم، وعلى بغيكم تماديتم فالحصون منا لاتمنع، والعساكر لدينا لاترد ولا تدفع لأنكم أكلتم الحرام

وضيعتم الجمع فابشروا بالذل والجزع اليوم تجزون عذاب الهون لما كنتم تعملون. فان أعجبكم كلامنا إننا كفره، وقد صار عندنا انكم فجرة، قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال، كثركم عندنا قليل، وعزيزكم عندنا ذليل. وقد ملكنا الأرض شرقاً وغرباً وأخذنا من كل سفينة غصاً.

قد أرسلنا اليكم هذا الكتاب فأسرعوا برد الجواب قبل أن ينكشف الغطاء، ولم تبق لكم باقية، وينادى عليكم بالفناء (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً) وقد أنصفناكم وأرسلنا عليكم جواهر الكلام والسلام.

وقد أجاب عليه الإمام بما يلي:

﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير كله إنك على كل شيء قدير ﴾
قد حصل الوقوف على هذه الكتبة الشاهرة لقولكم: قد نزع الله الرحمة من قلوبكم ، فهذا من أقبح عيوبكم، وأشد اشنع، وبغيتم، وذكرتم انكم كافرون ألا لعنة الله على الكافرين، من تعلق بالأصول فلا يبالي بالفروع، ونحن المؤمنون حقاً لا يصدنا عنكم عيب، ولا يدخلنا شك ولا ريب، والقرآن علينا قد نزل، فهو رحيم بنا لا يزل، وخيولنا برية وبحرية وهمنا سامية عليّة، ان قتلناكم فنعم البضاعة، وان قتلتمونا فبيننا وبين الجنة ساعة ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴾ وقولكم : قلوبكم كالجبال، وعددكم كالرمال: الجزار لا يبالي بكثرة الغنم الكثيرة، وان الله مع الصابرين فنحن بالمنع عالية أمينة، ان عشنا عشنا سعداء، وان متنا متنا شهداء ﴿ ألا ان حزب الله هم الغالبون ﴾ فقل لصاحبك: اذا رصع وشيد مقالته حصل الوقوف على هذا الكتاب كصريح باب وطنين ذباب ﴿ سنكتب ما قالوا ونمد لهم من العذاب مداً ﴾ وما عندنا بعد ذلك إلا الخيل تمطر بالويل، والنار مظهرة العار، والسيوف مسقية بالحتوف،

والسلام على من اتبع الهدى، وخشي عواقب الردى، وأطاع الملك الأعلى واختار الآخرة على الأولى، والصلاة والسلام على خير الأنام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

ويعقب هذه الفترة مرحلة أخرى يحتدم فيها الصراع بين الأئمة اليعاربة لينتقل ملك البلاد منهم الى آل بوسعيد، وأول من تملك منهم السيد أحمد بن سعيد.

ومن أبرز من تولى زمام الحكم منهم في المئة الثالثة عشرة للهجرة وربما في المتقدمين السيد سعيد بن سلطان الذي وطد نفوذ الدولة البوسعيدية في شرق افريقيا وامتد نفوذه الى بلاد فارس فكان لواليه عليها سيف بن نبهان يد كبرى في تملك قلاع كثيرة ومناطق شاسعة لحزمه وسياسته الحكيمة، ولكنه بمجرد وفاة السيد سعيد بن سلطان في عرض البحر وهو عائد من عمان الى زنجبار حتى انقسم أولاده على أنفسهم وانقسم ملك أبيهم فكان للسيد ثويني عمان وللسيد ماجد شرق افريقيا الذي ما لبث أن نازعه أخوه السيد برغش حيث يتوقف السالمي في كتابه عند هذه المرحلة من التاريخ العماني . راجياً أن اكون قد وفقت فيما عرضت له في هذه العجالة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السامي « المجتهد المجدد »

إعداد / فضيلة الشيخ ناصر بن محمد الرموري

التقديم :

الحمد لله الذي أوضح معالم الهدى، ولم يترك الناس سدى، بل أرسل رسله بالهدى ودين الحق، وأيدهم بدلائل الصدق، حتى يكونوا هداة للخلق، وختمهم بامام المرسلين، وقائد الغر المحجلين، فأنزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، واتاه الحكمة وفصل البيان، فدعا الى سبيل ربه حتى أتاه اليقين، فالتحق بالرفيق الأعلى، وقد خلف فينا ما إن تمسكنا به لن نضل أبداً، كتاب الله وسنته الميمنة، ثم قام بالأمر بعده، العلماء ورثة الأنبياء، وخلفاء الرسل، فنهضوا بمسئولية التبليغ والدعوة من بعده، ولم يألوا جهداً في الإرشاد والتبيين، ولا يزالون يتوارثون الأمر، خلفاً عن سلف، وكذلك كتب الله على نفسه الرحمة، على هذه الأمة، أن يهيء لها من أمرها رشداً، فكان يبعث فيها على رأس كل قرن عالماً يجدد لها أمر دينها، يدفع عنه تأويل الجاهلين المبطلين، وانتحال الغالين، أولئك أقمار الدجى، وشموس الهدى، كلما خلا منهم سلف حميد، قام منهم خلف رشيد، يقيم حجة الله على عباده وينير الطريق لرواده ويهيئ حوض العلوم لوراده، في مواكب يقفني لواحقها بسوابقها، وقوافل تترى كلما مضت أوائلها تبعتها في نهجها القويم وأواخرها، تلك هي منة الله على عباده المؤمنين، يبعث فيهم هداة مرشدين، ولا يتركهم حيارى تائهين، وكان فضل الله عظيماً على المؤمنين. ومن هؤلاء العلماء العاملين، ذلك الطود الراسخ، والعلم الشامخ، العالم النحرير، والمجتهد الكبير، والبدر المنير: نور الدين الشيخ أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم السامي العماني - رضي الله عنه - وجازاه على خدمة العلم خير جزاء وأوفاه.

التعريف بالشيخ السالمي

- رحمه الله -

هو الشيخ العلامة : نور الدين أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي، ولد في بلدة الحوقين من أعمال الرستاق من أبوين كريمين في عام (١٢٨٦هـ) ونشأ بها وتعلم القرآن، وحفظه على والده حميد بن سلوم بن عبيد، وقد رزقه الله حافظه قوية، فكان لا يسمع شيئاً إلا ويحفظه، وقد كف بصره في السنة الثامنة عشرة من عمره، فعوضه الله عنه نوراً في بصيرته، فكان لا يكاد ينسى شيئاً مما حفظه ويعيه فهماً وفقهاً وكان ذا عزيمة قوية صارمة تفل الحديد فبز أقرانه علماً وأدباً وفقهاً وتحقيقاً.

شيوخه والفنون التي أخذها عنهم:

وقد التحق بالرستاق، ولازم مجالس علمائها الأفاضل يكرع من مناهلهم الصافية الغزيرة، وكانت الرستاق يومذاك عامرة بمجالس العلماء، فظل شيخنا ملازماً لهم حتى بعد ذهابه الى الباطنة، ومن هؤلاء وفي مقدمتهم: الشيخ ماجد بن خميس بن راشد العبري، والشيخ راشد بن سيف اللمكي، والشيخ محمد الهاشمي، والشيخ محمد بن سيف الرحيلي، والشيخ محمد بن مسعود البوسعيدي، وقد لازمهم اثنين وعشرين عاماً (٢٢)، ثم انتقل من الرستاق الى الشرقية، حين سمع بفضل العالم الكبير: الشيخ صالح بن علي الحارثي، فنزل أول الأمر ببلدة المضبيبي في جوار الشيخ سلطان بن محمد الحبسي، ثم انتقل الى القابل بلد الشيخ صالح المذكور، وهناك استقر، وألقى عصا التسيار، فلأزمه ست سنوات (٦)، الى أن وافاه أجله، فخلفه بعده في نشر العلوم والدعوة والإرشاد وأكثر ما أخذ العلم عنه، ويمكننا القول إن نسب الدين في عمان، جاز على الشيخ السالمي على طريق شيخه صالح بن علي لكثرة ما درس عليه من فنون العلم، فقد أخذ عنه التفسير والحديث

وأصول الدين وأصول الفقه والنحو ، والصرف، والمعاني والبيان
والبديع والمنطق ، ثم بعد وفاة شيخه ظل ينشر هذه العلوم في طلبته
الذين أصبحوا بعد أكثر شيوخ أهل عمان.

تلاميذه ومعاصروه في المشرق والمغرب:

لأنبأ إذا قلنا إن جل شيوخ عمان في القرن الرابع عشر (١٤) أغلبهم
من تلاميذ الشيخ السالمي - رحمه الله - وفي مقدمتهم: الإمام محمد بن
عبد الله الخليلي، ومنهم: الإمام سالم بن راشد الخروصي، ومنهم الشيخ
ناصر بن راشد، والشيخ عامر بن خميس المالكي، والشيخ عيسى بن
صالح الحارثي، والشيخ عبدالله بن محمد أبو زيد الريامي، والشيخ
سعود بن حميد، والشيخ محمد بن سالم الرقيشي، وابن غابش، وغيرهم
كثير وكثير، انتشروا في قطر العmani انتشار النجوم، ينشرون النور ،
ويهدون الناس الى صراط الله القويم.

ومن تلاميذه ولداه العالمان الشيخ حمد بن عبدالله والشيخ محمد أبو
سليمان - رحمهما الله - .

مؤلفاته وآثاره :

ترك - رحمه الله - مؤلفات كثيرة في مختلف الفنون منها: في أصول
الدين منظومة في ثلاثمائة بيت من الرجز، سماها «أنوار العقول» وقد
شرحها مرتين، شرحها شرحاً مختصراً سماها: «بهجة الأنوار» ثم شرحاً
مطولاً سماها «مشارك الأنوار». وله أيضاً في التوحيد قصيدة في سبعة
وسبعين بيتاً جمع فيها قواعد التوحيد وما لا يسع المكلف جهله سماها
صواب العقيدة ، وله أيضاً منظومة في التوحيد محكمة سماها «غاية
المراد في الاعتقاد» وله أيضاً في الموضوع: «كشف الحقيقة لمن جهل
الطريقة» منظومة. كما ألف في أصول الفقه ، فقه نظم أرجوزة في ألف
بيت سماها «شمس الأنوار» في أصول الفقه من أبدع النظم وامتنه

شرحها في مجلدين شرحاً ضافياً سماه «طلعة الشمس» . ومن مؤلفاته شرح مسند الإمام «الربيع بن حبيب» في ثلاثة مجلدات، وله في الفقه منظومة تنيف على ألفي بيت نظم فيها مختصر الخصال، للشيخ أبي اسحاق ابراهيم بن قيس الحضرمي — رحمه الله — وشرحها في ثمانية مجلدات ضخمة في شرح بديع في فقه مقارن سماه «معارج الآمال على مدارج الكمال» انتهى فيه إلى الاعتكاف، وقد انتصف ما كان نوى أن يتمه، فقد كان ناوياً أن يجعله في ستة عشر مجلداً لو لم تعاجله المنية، وله في الفروع كتاب «تلقين الصبيان» ومن أجل مؤلفاته كتاب «جوهر النظام» في الأديان، وهو أرجوزة تنيف على أربعة عشر ألف بيت في أسلوب سلس محكم متين، قل أن يكون له نظير، وله في الفتاوى والمسائل كتاب: «العقد الثمين» في سبعة أجزاء.

ومن مؤلفاته كتاب «المنهل الصافي في العروض والقوافي» في أرجوزة شرحها شرحاً بديعاً ولم نستقص كل مؤلفاته، وإنما ذكرنا منها ما تم طبعه وتناولته الأيدي.

وله أيضاً كتاب «الحق الجلي في سيرة صالح بن علي» وله كتاب «الشرف التام في شرح دعائم الإسلام» شرح فيه بعض قصائد ابن النضر صاحب الدعائم. ومن تأليفه كتاب قيم جمع فيه تاريخ عمان سماه: «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان» جعله في جزأين، ويذكر له ديوان شعر بديع في منتهى البلاغة. وليست آثاره محصورة في تأليفه ورسائله وفتاويه نثراً أو نظماً ورجزاً، بل كان غرسها غرساً طيباً في قلوب تلاميذه، وأفكارهم، هؤلاء التلاميذ الذين انتشروا في كل مكان ينشرون العلم، ويخرجون الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم، تقبل الله منهم، وجزى الله كلا من المعلمين والمتعلمين خير جزاء.

وفاته ومدفنه:

توفي الشيخ نور الدين السالمي - رحمه الله - في بلدة تنوف في شهر ربيع الأول من عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف (١٣٣٢هـ) من هجرة الرسول ﷺ، ودفن في البلد الذي توفي فيه بجانب قبر الشيخ حمير ابن ناصر النبهاني، وقد توفي عن سن تناهز السادسة والأربعين وكان سبب موته سقوطه من راحلته وهو ذاهب الى تنوف ليصلح خللاً وقع بينه وبين شيخه ماجد بن خميس العبري من أجل فتواه أي فتوى الشيخ السالمي في الأوقاف التي وقفت على قراءة القرآن على المقابر، انها ترجع الى الورثة، فلما سمع الشيخ ماجد بهذه الفتوى غضب، فذهب اليه الشيخ السالمي لإزالة ماحدث من الجفوة وليصلح الخلل، ويرجع العلائق الى ما كانت عليه - فرحم الله الشيخين وجازاهما عن الاسلام خير الجزاء، وكفانا شر الشقاق والخلاف.

وكانت وفاة الشيخ السالمي في نفس الشهر الذي توفي فيه قطب الأئمة الشيخ اطفيش - رحمه الله - وفي نفس العام الذي توفي فيه الشيخ التقى عبد الله بن يحيى الباروني في جبل نفوسة - رحم الله هؤلاء الأقطاب الثلاثة - وقد تهاطلت المراثي على الشيخ السالمي ، وأجودها مرثيتان للشيخ أبي مسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحي - رحمه الله - .

يصدر مرثيته الرائية بقوله:

وحياتنا تعدو الى المضمار	ريب المنون مقارض الأعمار
ياليتها حذرت من التيار	والنفس تلهو فوق تيار الردى
مثل القرار على شفيرهار	قرت على رنق وزخرف باطل

وفيهما يقول - رحمه الله - :

حب الذي أرداه في استهتار	مالنا نبكي الفقيد ونحن من
وأثر الهوى وتغرة الأوطار	شغف النفوس بما يراقبه الفتى

وفيها يقول :

مالهول من يوم النشور أشد من هول النعي بسيد الأبرار
 العالم القطب المجدد عمدة العلم علماء طراً كعبة الأسرار
 ليث المعارك مربع الفضل الذي رفع المنار ولات حين منار
 حامي حمى الإسلام حجه معز الدين سيف الملة البتار
 بحر المعارف والكمال مسدد الأعمال في الإقبال والإدبار
 السالمي أبي محمد المنيف الذكر طود المجد بدر الساري
 ويمضي في الانشاد حتى يقول :

يامن أذاب الصخر حر مصابه
وزعت بين الدين والوطن الأسى
ودعوت في الإسلام دعوة مخلص
ثابت اليك عصائب وهبيّة
ثم يصدر القصيدة اللامية بقوله:
نكسي الأعلام يا خير الملل
وفيها يقول:

من ذا تركت لدولة الأحرار
توزيعك الطاعات في الأطوار
ثابت اليك بها ذوو الأبصار
من أسد ذي يمن وأسد نزار
رزيء الإسلام بالخطب الجلل

يأرجال العلم أودى قطبكم
فكتت بالسالمي المرتضى
عجباً من نعشه تحمله
جمع العالم في حيزومه
ويمضي فيها منشداً حتى يقول في أواخرها :

ما فقدناك وعرفناك في صفحات الكون ضوء يشتعل
 إن رب العلم حي خالد ولو أن الذات بالموت انتقل
 ما تركت الكون حتى تركت خطة الحمد لك الحمد الجلل
 وأقول مع القائلين:

الله ما حويت ياتنوف ضمنت بحرا دره صنوف
 شمس العلوم مالها كسوف وأزور فيك نورها المعروف
 لكن جلا ضيائها التأليف فيه الهدى والنور والكشوف
 أضفى عليك ربنا الرؤوف سحائباً وابلها وكوف
 وغمرتك بالرضى ألوف من رحمت ربنا تطوف

مميزاته ومنزلته بين العلماء:

لقد كان الشيخ السالمي - رحمه الله - ورضي عنه - على جانب عظيم من العلم والفقه والساداد وحسن النظر، فهو معدود من العلماء المجتهدين ذوي الفهم والبصائر، وفي مثله يقال: «كم ترك الأوائل للأواخر» فهو من المجددين الذين جاء الحديث في وصفهم «ان الله يبعث في هذه الأمة على رأس كل قرن عالماً يجدد لها أمر دينها، ينفي عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».

لقد كان الشيخ - رحمه الله - كوكباً درياً بين أقرانه العلماء، يمتاز بمميزات ظاهرة لا تنكر، يظهر ذلك في مؤلفاته مثل : شرحه لمسند الإمام الربيع بن حبيب، وفي كتاب «معارج الآمال» الذي هو موسوعة علمية، ذات قيمة فاخرة، وفي فتاويه التي حررها أحسن تحرير، وقررها على الدليل الصحيح والمنطق السليم، أيما تقرير فلنأخذ لذلك مثلاً، شهادة ثلاثة من أفاضل علماء عصرنا، وهم : الشيخ أبو اسحق في تقديمه على جوهر النظام، والشيخ عز الدين التنوخي في تقديمه على شرح الشيخ

للمسند في الحديث، والشيخ محمد محمد الدهان، في تعقيبه على الجزء الأول من فتاوى الشيخ السالمي - رحمه الله - .

كلمة أبي اسحاق ابراهيم اطفيش:

ظهر ذلك العلم الفخم، أحد أقطاب العلم المجتهدين العلامة، المحقق: نور الدين أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي، كان معروفاً بغزارة العلم والاجتهاد، اليه انتهت رئاسة العلم بما بلغنا بعمان، وظهر ذلك في تأليفه الجمة في مختلف الفنون الشرعية، والعربية، وهو من أهل التحقيق والاجادة في التأليف، كان - رحمه الله - ضريباً قوي الذاكرة في منتهى الذكاء والفتنة، ذكر تحدثاً بنعمة الله، في بعض تأليفه، أنه وقع أمامه حادث وهو في المهد، ولما كبر ذكر مابقي في ذهنه لوالديه، فحسبوا ما مضى من أيامه، فاذا هو ابن عشرين يوماً (ان لم تخني الذاكرة) وكان شديد اليقظة على تطورات الأمة بعمان - أقول وفي سائر البلاد الإسلامية - .

كلمة الشيخ عز الدين التنوخي - رحمه الله - :

يقول الشيخ عز الدين التنوخي في مقدمة شرح المسند: «وفهم من شرح هذا المسند أن الشارح من المستمسكين بالحديث الصحيح، وأرباب العقل الراجح والمعظمين للرسول ﷺ في أقواله، والمهتدين بسنته وأفعاله، فهو في شرحه لهذا المسند يمحس أقوال العلماء، ويختار على أقوال أهل المذهب ما صح من حديث الرسول ﷺ فليس هو ممن يرى العمل على الفقه لا على الحديث، قال «شارح الصراط المستقيم» : اذا وجد تابع المجتهد قولاً صحيحاً مخالفاً لمذهبه هل له أن يعمل به، ويترك مذهبه؟ فيه اختلاف. فعند المتقدمين له ذلك. قالوا: لأن المتبوع والمقتدى به هو النبي ﷺ ومن سواه فهو تابع له، فبعد أن علم وصح قوله ﷺ فالمتابعة لغيره غير معقولة، قلت : ولذلك لايجوز التعصب للمذاهب

تعصباً يستهتر به، بحديث الرسول ﷺ فإن ذلك من الفسق، والبعد من الدين، والخروج على سيرة الصحابة والتابعين ومن هؤلاء المتعصبين الجامدين كما يقول بعض الأئمة من إذا مر عليهم حديث يوافق قول من قلدوه انبسط، وإذا مر عليهم حديث يخالف قوله أو يوافق مذهب غيره، ربما انقبضوا ولم يسمعوا قول الله تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾.

وما كان أهل عمان أقرب فرق الخوارج الى أهل السنة، الا أن مذهبيهم كما اطلعت عليه مبني على السنة وتقديم العمل على الحديث لا على الفقه والمذهب عملاً بما جرى عليه امامهم جابر بن زيد الذي عمل بنصيحة شيخه عبدالله بن عمر الذي روى عنه.

فقد جاء في الحجة البالغة أن ابن عمر قال لجابر بن زيد: «انك من فقهاء البصرة فلا تفت الا بقرآن ناطق، وسنة ماضية، فانك ان فعلت غير ذلك هلكت وأهلك» ، ولذلك نعتقد ونقول : ان المعقول ومن القلب المقبول أن لانهدي الا بقوله تعالى ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول﴾ ، انتهى.

ويقول الشيخ محمد محمد الدهان :

في تعليقه على الجزء الأول من فتاوى الشيخ السالمي ما نصه: «وبعد فقد رغب إلي الأخ الصادق في محبته، المخلص في صحبته العلامة الشيخ سالم بن حمد الحارثي بالإشراف على طبع وتصحيح كتاب: «العقد الثمين» ، للعلامة الجليل فخر المتأخرين وسابق المتقدمين الشيخ أبي محمد عبدالله بن حميد السالمي، فشكرت له حسن ثقته وبدأت أطلع هذا الكتاب المبارك فوجدت نفسي أمام موسوعة نادرة في شتى مجالات العلم وألوان المعرفة، تجلت فيها شخصية المؤلف الفذة، وإدراكه

الشامل، وبصيرته النيرة، وعقله الكامل ، ولا غرابة في ذلك، فإنه رغم حداثة سنه، وفقد بصره، خلف جيلاً من أكابر العلماء، ترجع اليهم الأمة في شؤون دينهم، وأمور دنياهم، وزود المكتبة الإسلامية بالكثير من الكتب القيمة، والمؤلفات النافعة...اهـ.

اجتهاده وتجديده وأمثلة أخرى:

لقد كان الشيخ السالمي - رحمه الله - مجتهداً محققاً، مجدداً، لا يرجع من الأقوال إلا ما أيدته الدلائل من الكتاب والسنة الصحيحة أو الإجماع أو القياس الصحيح، أو الاستدلال والاستحسان، والمصالح المرسلة، المعبرة في موازين الشرع الحنيف، التي تحقق مقاصد الشريعة الإسلامية، وكل كتاباته ناطقة بذلك، ماكان منها نثراً وما كان نظاماً، ولئن أتينا بنماذج من ذلك فلغرض التمثيل لا الحصر، وهذا نموذج من نظمه الذي يقول فيه:

وربما أخالف المشهوراً	وأذكرن ما لم يكن مذكوراً
لأنني أقفو الدليل فاعلمنا	لم أقصر على مقال العلماء ^(١)
فالعلماء استخرجوا ما استخرجوا	من الدليل وعليه عرجوا
فهم رجال وسواهم رجل	والحق ممن جاء حتماً يقبل

وفي الجوهر يقول الشيخ، : (فنحن)

فنحن حيث أمر القرآن لا حيثما قال لنا فلان

(١) يقول محقق الجوهر المعلق الشيخ أبو اسحاق إبراهيم اطفيش في تعليقه على هذا البيت: يخبرنا المصنف - رحمه الله - في هذه الآيات تحدثاً بنعمة الله انه يستند على الدليل لا على كلام العلماء، ولا على مجرد الترجيح، شأن العلماء المجتهدين الذين نيزوا التقليد وراءهم ظهيراً، واعتمدوا على الإعتداد بالدليل. واستنباط الأحكام منه، وذلك مشاهد في تأليفه. ويشير في كلامه الى ماروي عن بعض من الصدر الاول، لما سئل فقال: ما جاء عن الله ورسوله فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة فبعضه مقبول وبعضه مردود، وما جاء عن التابعين، فهم رجال ونحن رجال، وليس الناظم - رحمه الله - ممن يسودون ويقولون نحن مؤلفون، ولا من الذين يتهوكون، ويحتطبون بالليل، ولكنه محقق ومدقق، جزاء الله عن العلم والدين خير جزاء، ونفعنا بتأليفه.

ويقول في تقديم الحديث على القياس:

نقدم الحديث حيث جاء على قياسنا ولا مراء

(جوهر النظام)

ويقول في المشارق:

والأصل في الفقه كتاب الباري إجماع بعد سنة المختار
والاجتهاد عند هذي منعاً وهالك من كان فيها مبدعاً
والرأي في غير الأصل جوزا وواجب أن نتحرى الأجوزا

(مشارق الأنوار) - باب العلم -

نماذج من فقهه من خلال مؤلفاته وفتاويه:

لقد كان الشيخ السالمي - رحمه الله - معجباً بأهل التخريج والتفريع،
والتحقيق، من علماء المذهب، مثل : الشيخ أبي سعيد الكدومي، والشيخ
أبي محمد عبدالله بن محمد بن بركة، والشيخ أبي نبهان جاعد بن
خميس الخروصي، يسميهم أهل التحصيل.

وكان يقول في تحريره الأدلة، والتمسك بها، والإعراض عن التقليد
(حسبك أن تتبع المختار، وإن)

حسبك أن تتبع المختارا وإن يقولوا خالف الآثارا

ولنأخذ أولاً نموذجاً من رأيه في الاجتهاد، يتبين منه مدى تعمقه في
الفقه، وتحرره من قيود التقليد الأجوف، وتحريره في طلب الدليل (من
العقد الثمين) جاء في فتاوى الشيخ في الجزء الأول منها مانصه : سئل
الشيخ - رحمه الله - عن قول الشيخ سليمان بن يخلف بأن الاجتهاد
مخصوص بالنازلة التي لم تكن في الكتاب ولا في السنة، ولا في آثار
المسلمين الذين كانوا قبل النازلة، كيف الوجه في ذلك، وكيف الذين لم

يكونوا قبلها، لاجوز لهم الإجتهد وهي مسألة رأي مع أنا شاهدنا المسلمين يضربون صفحاً عن بعض الآراء الى ما رأوا.

فأجاب - رحمه الله - قال : لاوجه لما قاله الا على رأي من يجوز للمجتهد أن يقلد غيره، وهو قول ضعيف جداً، بل الحق أن عليه أن يستعمل اجتهاده، ويأخذ بما رأى في ذلك ، وهو أيسر القول والله أعلم.
وسئل عن حفظ مسألة من أثر المسلمين أو من سؤاله للعلماء، لاجوز له أن يفتي بهما من جاء يسأله عنها، وهو محتاج اليها؟

فأجاب - رحمه الله - قال: إن كان في الأرض مفت أعرف منه وأبصر بأمر الدين، فلا يفت مخافة الخطر، وإن كان الناس محتاجين اليه ولا يجدون من هو أعرف منه، فلا بأس أن يعلمهم بما وجده في الأثر، أو أخذه من الأشياخ، والله أعلم. اهـ (من طلة الشمس الجزء ٨)
ويذكر - رحمه الله - في معرض حديثه عن ضرورة علم أصول الفقه، وهو يندد بالجمود، يقول في شرحه للبيت الذي في منظومته «شمس الأنوار» في أصول الفقه. :

وبعد فالعلم بفن الفقه مندرج تحت أصول الفقه

يقول في الشرح: وفن الفقه هو النوع المخصوص من العلوم، وسيأتي تعريفه في اضافة الفن الى الفقه إضافة المسمى إلى اسمه، لأن الفقه اسم للفن المخصوص بما سيأتي ومندرج أي منطو، وأصول الفقه علم على الفن ، وسيأتي تعريفه أيضاً، والمراد باندراج الفقه تحته هو أن معرفة الفقه متوقفة على معرفة أصول الفقه، ولذا قال صاحب الايضاح - رحمه الله تعالى - : «من لم يتحكم على الأصول قلما تتحصل عنده الفصول». وقال بعضهم: «مانعهم من الوصول إلا تضييع الأصول، فلما بطلوا تعطلوا». ثم يستمر في شرحه ومناظراته، حتى يقول: «وأهل زماننا تعذر عليهم الوصول الى استنباط الأحكام من أدلتها، إلا بعد معرفة اصطلاحات الفن وممارسة قواعده وضبط علله وقوادحه إجمالاً وتفصيلاً، وقد رغب عن ذلك كثير من أهل زماننا لجهلهم، بما فيه من

التحقيق، وصعوبة ما فيه من التدقيق فقصارى متفقههم حفظ أقوال الفقهاء، وغاية نباهة أحدهم رواية ما قاله النباه، لا يدرون غث الأقال من سمينها، ولا خفيفها من رزينها، قد حبسوا في التقليد المضيق، عن فضاء التحقيق، وليتهم لما وقفوا هنالك عرفوا منزلتهم بذلك، ولم يدع احدهم منزلة ابن عباس، ويقول: «ايها الناس فإننا لله وإنا اليه راجعون، فذهب العلم وأهلوه، وبقي الجهل وبنوه»، اهـ.

ومن طلعة الشمس أيضاً (الجزء الثاني)، ويقول — رحمه الله — في باب الاجتهاد في أواخر الجزء الثاني من كتابه (طلعة الشمس):

وإن أطاق الاجتهاد حَرُمَا	عليه تقليد سواه فاعلما
وقيل لا يحرم حتى يجتهد	بعد الاجتهاد فالمنع يرد
وقيل بل يجوز مطلقاً وفي	هذا من البطلان ما لا يختفي
وقيل إن كان صحابيا يصح	وقيل لا وهو المقال المنتضح
وقيل إن كان يفوت العمل	بالاجتهاد جاز وهو الأسهل

وهو يقول في الشرح: لا يصح ان أطاق الإجتهد في شيء من المسائل الظنية أن يقلد غيره فيها، ولو كان الغير أعلم منه، أو صحابياً، بل يجب أن ينظر لنفسه ما هو الحق في حقه، ويحرم عليه تقليد غيره، سواء اجتهد في تلك الحادثة، فظهر له الرابع فيها، أم لم يجتهد، ويمضي في الشرح الى أن يقول: وقال محمد بن الحسن: يجوز تقليد الأعلم فقط، لأن الظن بصواب من هو أعلم منه، أقوى من الظن بصوابه ورد بأنه رجوع من الواضح الى المشكل، وقيل انه يجوز تقليد الصحابي لاغير، لقوله ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم». ورد بأن ذلك، انما هو في حق من يصح له التقليد، أما المجتهد ففرضه العمل باجتهاده، وقال ابن بركة: تقليد الصحابي جائز في بعض الأحكام، ثم قال بعد: يجوز تقليد الواحد منهم إذا قال قولاً ولم ينكر عليه غيره، وأما اذا علم له مخالف فلا» .. إلخ.

من شرحه للمسند (جزء ٨) ما جاء في الرقعة في الصلاة - أبو عبيدة عن جابر بن زيد، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا ثوب للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وعليكم السكينة والوقار، وما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فاقضوا ، فإن أحدكم في صلاة ما كان يعمد الى صلاة».

يقول الشيخ - رحمه الله - في أثناء شرحه للحديث: «قوله وما أدركتم فصلوا» أي مع الإمام، وفي رواية بالفاء قوله : «ومما فاتكم فاقضوا» أي فادوا كما أمرتم، وهو معنى الإتمام، وفي رواية أبي قتادة، فإن أكثرهم رواة بلفظ «فأتموا» وروي أيضاً «فاقضوا» كما في رواية المصنف، والمعنى واحد، والأداء يسمى قضاء، ومنه قضاء الدين^(١) ، وانما وقع الفرق بينهما في اصطلاح الأصوليين فقط، وهو اصطلاح جديد لا يصح أن يحمل عليه معنى الحديث. فليس فيه حجة لمن قال: إنما أدرك هو آخر صلاته، ولا لمن قال، هو أولها، لكن يستفاد من قوله: «ومافاتكم» ، إن أول الصلاة قد فاته مع الإمام، فلم يدرك إلا ما بعد ذلك، فهو يصلي ما أدرك ويقضي ما فاته، والذي أدركه هو آخر صلاة الإمام فيلزم أن يكون آخر صلاته، لأنه به أمر، فهذا هو موضع الاستدلال ؛ لا في قوله: فاقضوا أو أتموا، كما وقعت عليه الأفهام حتى لا تجد مستدلاً بغير ما ذكرته من وجه الاستدلال كالنص على أن ما فاته أول صلاته، وما أدركه آخرها، والله أعلم، وبه التوفيق والتسديد». اهـ.

فأنت ترى هذه النكتة اللطيفة، والمعنى الدقيق، الذي يخفى على كثير من الناس ولا يتفطن له الا الفحول من العلماء، أو لي السبق ، والتعمق في الفهم.

وفي شرح المسند أيضاً (الجزء ٣) - ما جاء في وجوب الحج على التراخي : ومن طريقه أيضاً أي ابن عباس: « أن رسول الله ﷺ لم يحج

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ، فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية (١٠) من سورة الجمعة.

الا بعد عشر حجج من هجرته، ولا أنكر على من تخلف عن الحج من أُمته».

يقول الشيخ - رحمه الله - في أثناء شرحه لهذا الحديث: هذا منه - رضي الله عنه استدلال على أن وجوب الحج على التراخي واستدلال له بوجهين، أحدهما فعله - ﷺ - في تأخير الحج الى السنة العاشرة والثاني تقريره وهو عدم انكاره على المؤخرين، والقول بالتراخي، هو مذهب الجمهور، منا وبه قال الأوزاعي، وأبو يوسف، ومحمد والشافعي، وقال قوم إنه على الفور، وبه قال بعض أصحابنا، وأبو حنيفة، ومالك، وأحمد، وبعض أصحاب الشافعي، وأجابوا عن الاستدلال المتقدم، انه قد اختلف في الوقت الذي فرض فيه الحج، ومن جملة الأقوال أنه فرض في سنة عشر، فلا تأخير، ولو سلم أنه فرض قبل العاشرة فتراخيه - ﷺ - انما كان لكراهة الاختلاط في الحج بأهل الشرك، لأنهم كانوا يحجون ويطوفون بالبيت عراة، فلما طهر الله البيت الحرام منهم حج - ﷺ - فتراخيه لعذر، ومحل النزاع التراخي مع عدم العذر، وحجة القائلين بالفور حديث ابن عباس. أن النبي - ﷺ - قال : «تعجلوا إلى الحج (يعني الفريضة) فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له» . رواه أحمد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن الفضل، أو أحدهما عن الآخر، قال: قال رسول الله ﷺ : «من أراد الحج فليعجل فإنه قد يمرض المريض، وتضل الراحلة، وتعرض الحاجة» رواه.

وعن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: «لقد هممت أن أبعث رجالاً الى هذه الأمصار، فينظرون كل من له جدة ولم يحج، فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين .. ما هم بمسلمين» رواه سعيد في سننه، والله أعلم.

فأنتم ترون من خلال تعقيبهِ هذا، ترجيح القول بفورية الحج، ولو لم يقل به إلا ابن بركة، من أصحابنا، وهو القول الذي يؤيده الدليل، والله أعلم.

ومن شرحه للمسند أيضاً (الجزء ٣):

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس، قال : اختلفت أنا وأبو سلمة بن عبد الرحمن، في المرأة الحامل، اذا وضعت بعد وفاة زوجها، بليال، قال: فقلت عدتها آخر الأجلين، فقال أبو سلمة إذا وضعت حلت فجاء أبو هريرة، فسئل فقال: أنا مع أبي سلمة، فبعثنا كريباً مولى ابن عباس، الى أم سلمة فسألها عن ذلك فقالت: ولدت سبيعة الأسلمية بعد وفاة زوجها بليال، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال «قد حلت» . قال الربيع، قال أبو عبيدة: وهذه رخصة من النبي ﷺ للأسلمية، وأما العمل ، فعلى ما قاله ابن عباس وهو المأخوذ به عندنا، وهو قول الله عز وجل في كتابه:

يشرح الشيخ - رحمه الله - هذا الحديث شرحاً طويلاً في خمس صفحات، يتعرض فيه لرواية البخاري ومسلم ، وأهل السنن، ولأقوال العلماء فيه، بما يدل على سعة اطلاعه، وتجرده في طلب الدليل المرجح، ويقول في أثناء الشرح: قال الربيع، قال أبو عبيدة: وهذه رخصة من النبي - ﷺ - للأسلمية، وأما العمل، فعلى ما قال ابن عباس، وهو المأخوذ به عندنا، وهو قول الله - عز وجل - في كتابه، وهو المنقول عن علي بن أبي طالب واختلف النقل في ذلك» عن ابن مسعود، وقال به محمد بن عبد الرحمن وابن أبي يعلى، ونقل عن سحنون أيضاً، قال ابن عبد البر: لولا حديث سبيعة لكان القول ما قال علي، وابن عباس، لأنهما عدتان مجتمعتان بصفتين، وقد اجتمعت في الحامل المتوفى عنها زوجها، فلا تخرج من عدتها الا بيقين، واليقين آخر الأجلين. قال المحشي، ولأن القاعدة أن الدليلين إذا كان كل واحد منهما عاماً من وجه؛ خاصاً من وجه، فإنه يخص عموم كل واحد منهما بخصوص الآخر عملاً بالدليلين معاً، قال: وهاهنا كذلك، فإن قوله تعالى: ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ ظاهرها العموم في كل حامل فيخص بقوله

تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ . وهذه الآية ظاهرها العموم في كل متوفي عنها زوجها حاملاً كانت أو غير حامل، فيخص عمومها بقوله : ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ . فلا بد من وضع الحمل . وإن زادت على أربعة أشهر وعشراً فقد عمل بالدليلين معاً، بخلافه على المذهب الآخر، فانه عمل فيه بعموم آية الطلاق فقط، واحتج لمذهب أبي سلمة بحديث الباب، فان دعوى الخصوصية محتاجة الى دليل، وأخرج أبو داود والنسائي ، وابن ماجة، وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وغيرهم، عن أبي مسعود أنه بلغه أن علياً يقول: «تعد آخر الأجلين» فقال: «من شاء لاعنته» ، إن الآية التي في سورة النساء القصوى، نزلت بعد سورة البقرة، بكذا وكذا شهراً، وأخرج عبد بن حميد عنه أنها نسخت ما في البقرة وأورد ابن مردويه عنه انها نسخت سورة النساء الصغرى في كل عدة ... إلخ.

وقول أبي عبيدة — رحمه الله — : «هذه رخصة من النبي — ﷺ — للأسلمية يدل عليه ما في رواية الأسود، عن أبي السنابل أن النبي — ﷺ — قال لها: فانكحي من شئت، ولو رغم أنف أبي السنابل، وذلك أنه، لما ولدت سبيعة بعد زوجها، خطبها رجلان، أحدهما شاب، والآخر كهل، وهو أبو السنابل، فمالت الى الشاب، فقال أبو السنابل: لم تحلي بعد، وكان أهلها غيباً ورجا إن جاء أهلها، أن يؤثروه بها، فجاءت رسول الله ﷺ فقال: «قد حلت فانكحي من شئت» هذا يدل أن الترخيص كان لها لأجل ارغام أبي السنابل ولايشكل عليك خطبته اياها، قبل تمام أبعد الأجلين، لأنهما تأولا معنى قوله تعالى: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ . وقد تقدم القوم بعموم الحكم، وأنه غير مخصوص بسببية عند بعض الناس، أو أن القصة كانت قبل النهي عن الخطبة في

العدة، وقوله: وهو قول الله عز وجل في كتابه ، يشير بذلك الى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ وقوله عز من قائل: ﴿ وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ . فانه لابد من الجمع بين الآيتين، فان تقدمت الولادة قبل تمام الأربعة الأشهر والعشر. وجب الأخذ بآية البقرة، وان تأخرت وجب الأخذ بآية الطلاق، ولا يصح الغاء أحد الدليلين، مع امكان الجمع بينهما، هذا وجه ما أشار اليه أبو عبيدة - رحمه الله تعالى - . والقائلون انها تحل بالوضع، اعتمدوا على حديث الباب، وجعلوه مبيناً للحكم. اهـ.

فأنت ترى الشارح - رحمه الله - يحرر المسألة تحريراً، ويبين وجوه الاستدلال، ويضع الأدلة بين يديك، ويترك اليك الاختيار في ترجيح أحد الدليلين على الآخر، وربما يصرح برأيه الخاص في القضية التي ترجع الى الرأي، فيقول بعد عرض أقوال من سبقه والقول عندي: كذا وكذا. وذلك كقوله في « شمس الأصول »:

ووجب القضا بأمر ثان إن فات أو فوته التواني
وقيل بالأمر الذي تقدما والأول الصحيح عندي فافهما

ويقول - رحمه الله - في « طلعة الشمس » في تعديل الرواية وتجريحهم في أثناء الشرح: «على أن أصحابنا - رحمهم الله - لم يشترطوا في تعديل الشهود وتجريحهم غير معدل واحد ، ومثله الراوي، لأنه أيسر حالاً منه، واشترطوا في البراءة، عدلين على الصحيح، فقولي في النظم:

« لكنه باثنتين في الصحيح » ؛ مبني على ما اختاره البدر، تقليداً له مني، في حال النظم، وقد ظهر لك أن الراجح خلافه، والله أعلم.

وللشيخ - رحمه الله - نظرات صادقة في الفقه، وتجديدات منها إبطال

أذانين لصلاة واحدة الا صلاة الجمعة، ومنها إبطال الأوقاف الموقوفة ،
لقراءة القرآن على القبور، وإبطال القراءة في المقابر، ويستدل بفعل النبي
ﷺ فيقول في الموضوع:

والمصطفى قد زارها وما قرا إلا سلاما ودعا وأدبرا
ويشير الى الأمور المبتدعة بقوله:

فبدلوا وياليتهم ما بدلوا ورسخت بقلب من لا يعقل

ومن «العقد الثمين»: من تجديده — رحمه الله — في أمر العقيدة،
وتصفية الاعتقاد من شوائب الشرك:

س : وسئل - رحمه الله - عن المعظمين لأمكنة مخصوصة، عندهم ،
كشجر، وعين ماء، ومسجد، وينذرون لها، ويقولون تضر، وتنفع، وتبلي
وتشفع، ما حكمهم عند المسلمين اذا أصروا على ذلك؟ وهل يضر
الزوجين سير أحدهما الى هذه المواضع، والتعظيم لها أو سار كلاهما ،
وهل تحرم الذبيحة التي تذبح لها والطعام المصنوع لذلك؟

ج — : فأجاب - رحمه الله — : لانايف ولا ضار الا الله، فمن عظم
شجرة ، أو عيناً أو قبراً، أو مسجداً، أو نحوها تعظيم النافع الضار، فهو
عابد صنم، قد خرج عن الإسلام الى الكفر ، وحكمه حكم عبدة الأصنام
إن لم يتب، وما أشركت الجاهلية إلا بمثل ذلك، كانوا يعظمون الحجارة،
ومنهم من يعظم النار، كالمجوس، واعتقدوا ان ذلك نافع وضار، ومنهم
من اعترف أن الأصنام لاتنفع ولا تضر، ولكن قالوا : ما نعبدهم إلا
ليقربون الى الله زلفى، فهم يعبدون الأصنام، ويعتقدون أنها غير نافعة
في ذاتها، إلا أنهم يرجون القربى بها الى الله، فلم ينفعهم ذلك، وحكم
عليهم القرآن بحكم الشرك وكذلك حكم عليهم النبي ﷺ ومر رسول الله
ﷺ على شجرة تذبح لها الجاهلية، وتعلق فيها جلود الذبائح، كما يفعل

بعض الجهلة اليوم، ويسمون تلك الشجرة «ذات أنواط» ، فلما رأها المسلمون، قال بعض ما لا علم له منهم، يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فكبر ذلك على رسول الله ﷺ وأغلظ القول في انكاره وقال: «لتسلكن سنن من كان قبلكم حتى انهم لو دخلو جحر ضب لدخلتموه». يشير بذلك الى قصة بني اسرائيل حين مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، فقالوا: (ياموسى اجعل لنا الهأ كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون) الآية . وما ذبح على هذا الحال كالذي ذبح على النصب، وهو الذي أهل به لغير الله، وذلك فسق، والله أعلم. اهـ.

فهو حقاً من المجددين الذين أرجعوا الى الفقه جدته ونضارته، ونقوا عنه الزيادات التي ألصقت به في عصور طفى عليها الانحطاط والتقليد، ولا تخلو من أهل التجديد ولكن لا يسمع لهم العوام المفتونون بأهل الجمود، الذين تقدمت الإشارة اليهم في كلام الشيخ - رحمه الله - .

ولا تزال أنوار مدرسته المشعة مشرقة على أفكار أهل العلم والتحصيل، فجزاه الله خيراً، ونفعنا بعلومه، وبارك في تلاميذه، وتلاميذ تلاميذه حتى يمددوا اشعاعه، ويتموا احياء ما شرع في بعثه، من الاستنباط والتفتح والتجديد، ولا يسعني في هذه الالتفاتة الصادقة الى هذا النجم المضيء إلا أن أدعو الله أن يبارك لنا في آثاره، ويكثر فينا معشر أهل الاستقامة من أمثاله، وإني أوصي الأبناء المتعلمين أن-ينهجوا نهجه، ويكرعوا من منهله الصافي، ويقتدوا بأخلاقه، ويلتزموا بسيرته وسيرة من سبقه من العلماء العاملين.

والله ولي التوفيق، ومنه العون، والتسديد، وعليه الاتكال وبه الاعتصام، وإليه المصير، وهو مولانا، فنعم المولى ونعم النصير، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع

المؤلف	الكتاب
الشيخ السالمى	تحفة الأعيان
الشيخ السالمى	جوهرة النظام
الشيخ السالمى	طلعة الشمس
الشيخ السالمى	أنوار العقول
الشيخ السالمى	مشارك الأنوار
الشيخ السالمى	كشف الحقيقة
الشيخ السالمى	شرح المسند
الشيخ السالمى	العقد الثمين
الشيخ السالمى	معارج الآمال

السالي « أديبا و لغويا »

إعداد / د. ابراهيم بن أحمد بن سليمان الكندي

حمداً لمن هدى بنوره من اتبع رضوانه سبيل السلام. وأنعم على من شاء من الأنام بالبيان، فأنطقه ببليغ الكلام. وصلاةً وسلاماً على خير من دعا الى رشاد، وأفصح من نطق بالضاد، سيد كل سيد ومسود ، من والد ومولود، النبي الأواه محمد بن عبدالله، وعلى آله الاطهار وصحبه الأبرار وكل من آمن به واتبع النور الذي أنزل معه.
أما بعد ،

فإن تكريم أساطين الفكر وأعلام الأمة ودعاة الإصلاح، بابرار مآثرهم ونتاج قرائحهم. ايقاظاً للعزائم، وبعثاً للهمم. وأداء لبعض الواجب يعتبر بحق مفخرة لكل من يسهم فيه ولو بكلمة. فكيف بمن يقوم به ويتبناه؟! والمنتدئ الأدبي إذ يتبنى تلك المواقف المشرفة، ويجرد صوارم العزم. ويختط للمنتسبين اليه ذلك المنهج الواضح المعالم، إظهاراً لما يكونه للجهاذة الأعلام من تقدير واحترام جدير بأن يبارك خطاه كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. ذلك أن الناشئة يجب أن تضيء دربها الى التقدم بنتاج قرائح الموهوبين الذين أنار الله بصائرهم وصفى سرائرهم ونقى ضمائرهم وفجر ينابيع الحكمة من قلوبهم ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾^(١) فكل من يريد أن يضع لبنة في بناء مجتمع فاضل لابد أن يستضيء بمشعل من أعمال السلف الصالح حتى يكون خير خلف لخير سلف.

(١) آل عمران

وقد وجه إلى هذا الصرح الشامخ «المنتدى الأدبي» ضمن فعالياته في هذا المجال دعوة للمشاركة ببحث بعنوان «عبدالله بن حميد السالمي أديباً ولغوياً». والله يعلم اني لست من فرسان ذلك الميدان ولا من أرباب هذا الشأن حتى اني لا أصلح أن أنزل طفيلياً على موائد الأدب واللغة في قرى الأدباء واللغويين. ومع ذلك كله فلسوء حظي حالت بيني وبين اعداد البحث ظروف لا أرى الافصاح عنها في هذا المقام مناسبة. غير اني من خلال اطلالتي من نافذة الاطلاع وقفت على فيض من غيض وقطرة من بحر في ثنايا مؤلفات ذلك العلم الذي رسخت في كل حقل من حقول المعرفة. بل في كل بحر من بحور العلم له قدم راسخة، وبسقت له فيها ظلال وارفة، وشممت ومضة تنم عن شخصية فذة في الأدب بمدلوله الواسع. وقاموس لغوي تتلاطم أمواجه فيقذف بنفيس الجواهر لمن دنا منه، ويبعث بمواطر السحب لمن نأى عنه.

فعندها خاطبت نفسي وأنا موقن بصدق ما أقول عندما أقتربت من ذلك البحر الذي لا ساحل له ... إذا كان هذا العباب يتهيب الإقتراب منه المقتدرون، أليس من السخرية أن يخوض غماره أمثالي ممن خمدت فطنته وهى عزمه، وطبق النوم أجفانه!!!

ولولا ذمام لربوع عامرة بالموددة يتحتم قضاؤها، ونعمة من الواجب شكرها لما صدرت عن لساني في الموضوع بنت شفة، ولكني أتقدم بوريقات يغلفها الحياء لما أودع فيها من بضاعة مزجاة وشذرات قليلة على أكثر تقدير ان صح عنها ذلك التعبير. أما البحث فأسأل الله أن يمن عليّ بإعداده عندما تكون الفرصة سانحة بمشيئة الله وامداده فهو وليّ ذلك والقادر عليه.

« نور الدين السالمي والأدب »

إن من يطرق سمعه ذكر مؤلفات هذا العلم المحقق نور الدين السالمي — رحمه الله وطيب ثراه — يظن لأول وهلة أنه أصولي وفقهه محدث فحسب، ولكنه بمجرد ما يقلب بعض صفحات أي مؤلف من مؤلفاته ولو كان صغير الحجم يجد الخير المتدفق والنور المتألق فيحس أن القريحة التي جاءت بذلك الأسلوب الرفيع تنبئ بصديق ويقين عن موهبة أدبية لا تبارى ، وفارس في مضمار الأدب لا يجارى.

وإذا كان الأديب هو المصور للأخيلة الدقيقة والمبرز للمعاني الرفيعة الرقيقة، والمخلق في آفاق النفس الإنسانية بما يبدعه من صادق القول والمتغلغل في أعماق النفس الإنسانية بابراره المعقول في قالب المحسوس. فان فيما فاض به خاطره - رحمه الله - وجادت به قريحته أسطع برهان على أنه الأديب الأملعي.

الأملعي الذي يظن بك الظن — من كأن قد رأى وقد سمعا

وأنت قد بداخلك العجب أو يستفزك الطرب حينما تقرأ أسلوباً رفيعاً أو نظماً بديعاً لأديب بارع أو شاعر أديب في مجال له صلة وثيقة بالأدب، أو مضمار شعر في في رغب أو رهب. ولكن هل تملك نفسك وتستطيع تقييد حركة مشاعرك حينما تلمس رفعة الأسلوب ورقة الشعور، وسعة الخيال، وانسياب التعبير انسياب الماء الزلال نحو الكبد الحراء في انشاء خطبة لكتاب، أو ابداع مقدمة لمؤلف، أو تسمع له شعراً استنهاضيا حماسيا يحرك الوجدان ويلهب المشاعر، أو تعبيراً عن مسألة فقهية، أو عرض قاعدة أصولية أو اثبات لقول في مسألة اختلفت فيها الآراء أو استدلال على قول أو حشد أدلة على رجحانها.

أولاً - «الأسلوب النثري عند نور الدين»

أ - التعبير:

لا أدل على صحة الشيء من وقوعه وحصوله في الخارج، فإذا شئت أن تتبين ما يمتاز به أسلوب هذا العلم التعبيري من دقة في التعبير وتناسق في الجمل والمفردات، وشمولية ووضوح وروعة تأخذ بمجامع قلبك فاقرأ معي هذا النص:

« نحمدك اللهم يا من أطلع شمس الأصول في سماء قلوب العارفين، وأظهر بها حقائق الأدلة لإفهام الناظرين. وأبرز بها أسرار الأحكام الشرعية لفحول العلماء المجتهدين حتى أفضى بهم الحال من ضيق التقليد الى فضاء اليقين»^(١)

وهذا النص الآخر: «سبحانك يا من تفرد بالتنزيه، وتعالى عن النظر والشبيه، واتصف بالكمال الذاتي. فلا مكان يحويه ولا زمان يوجد فيه وجب له الوجود والقدم واستحال عليه الفناء والعدم. قضى على جميع ما سواه بالحدوث وحكم. ننزهك تنزيه من عرف حق الربوبية واعترف بالعجز والعبودية»^(٢)

أليس يبهرك ما في هذين النصين من روعة الجمال وبراعة الاستهلال؟!

«وهي أن يجعل المتكلم في أول كلامه إشارة الى مقصوده وأحسنها ما يكون على وجه التورية»^(٣)

فالنص الأول مطلع لشرح شمس الأصول «طلعة الشمس» والكتاب مؤلف في أصول الفقه الذي يبحث عن حيثية اثبات الأدلة للأحكام وثبوت الأحكام من الأدلة الشرعية وما يتصل بذلك من كيفية الاستنباط وصفات المستنبط.

(١) شرح طلعة الشمس / نور الدين / ج ١ ص ٢

(٢) روض البيان على فيض المنان في الرد على من ادعى قدم القرآن / نور الدين / مخطوطة ص ١

(٣) بهجة أنوار العقول / نور الدين ج ١ ص ٥

وأما النص الثاني فانه مطلع شرح مسمى «بروض البيان على فيض المنان على من ادعى قدم القرآن» للعلامة سعيد بن حمد الراشدي. وموضوع الكتاب: إثبات أن القرآن مخلوق إذ ليس في الوجود الا موجد وموجود خالق ومخلوق، فالخالق هو الله المتصف بالقدم وحده وما سواه فمخلوق محدث.

وخذ هذه الكلمات التي تفيض بالنور حيث يرشد المسلمين الى حتمية أن يكون منهم دعاة الى جمع الكلمة مؤيداً أحقية ذلك بالنتائج المتوقعة السريعة: «والساعي في الجمع مصلح لا محالة وأقرب الطرق له أن يدعو الناس الى ترك الألقاب المذهبية ويحضهم على التسمي بالإسلام. فان الدين عند الله الإسلام واذا أجاب الناس الى هذه الخصلة العظيمة ذهب عنهم العصبية المذهبية ولو بعد حين. فيبقى المرء يلتمس الحق لنفسه ويكون الحق أولاً عند آحاد من الرجال ثم يفشو شيئاً فشيئاً حتى يرجع الى الفطرة. وهي دعاية الإسلام التي بعث بها محمد عليه الصلاة والسلام. وتضمحل البدع شيئاً فشيئاً فيصير الناس اخواناً ومن ضل فانما يضل على نفسه»^(١)

فهل ترى أبين من هذا الأسلوب المتناسق الجميل ، الخالي من الحشو، الموصل الى المطلوب. ويستمر في أسلوبه الرفيع معرباً عن أمنيته في تحقق الوحدة والمكان الذي يجب أن يبرز منه فجرها لا أن يغشاها حالك من ظلمة التفريق. قائلأ: «وأوفق البلاد لهذه الدعوة مهبط الوحي ومتردد الملائكة ومقصد الخاص والعام وحرم الله الآمن. لأنه مرجع الكل. وليس لنا مذهب الا الإسلام فمن ثم تجدنا نقبل الحق ممن جاء به وإن كان بغيضاً، ونرد الباطل على من جاء به وإن كان حبيباً. ونعرف الرجال بالحق. فالكبير معنا من وافقه والصغير من خالفه»^(٢)

ولنستمع اليه وهو يبرر أفضلية علم أصول الفقه وأشرفيته على كثير

(١) جوابات نور الدين «مخطوطة» - الجزء الرابع ص ١٧٥

(٢) المرجع السابق ص ١٧٦

من العلوم بعد أن ذكر الغاية التي يصل إليها دارسه والساعي إلى تحصيله: «وهذا المقام مقام ليس بعده غاية لطالب الهداية وبما ذكرته هاهنا من فائدة أصول الفقه يظهر لك أشرفيته على غيره وأفضليته على ما عده. أما الكلام فإنه وإن كان أفضل العلوم بلاخلاف، لأنه إنما يبحث عن صفات الله تعالى. وشرف العلم إنما هو بشرف الموضوع فأفضليته على سائر الفنون إنما هي أفضلية باعتبار ما ذكر. وهذا أفضليته باعتبارات كثيرة وكثير من العلوم كعلم العربية والنحو والصرف إنما هي طرق إلى معرفة هذا الفن. فنسبته إليها بهذا الاعتبار إنما هي كنسبة الثمرة إلى الشجرة لأنها إنما تطلب لأجله كما أن الشجرة إنما تغرس لأجل ثمرتها ولربما لم يحصل منها المطلوب فتجذ من أصلها»^(١)

ألا ترى قوة هذا الأسلوب وترايط كلماته بحيث لو حذفت كلمة من تلك الفقرة لاختل المعنى. ولولا خشية الإطالة لأوردت نصوصاً من هذا الكتاب يسحر جمالها عقول البلغاء. ومع ذلك فهو يعرض حقائق علمية ونظريات وآراء مقرونة بحججها، والاعتراضات عليها، والاجابات عن تلك الاعتراضات بأسلوب جذاب .. وإني أنصح من أراد المزيد من المعرفة بقراءة هذا الكتاب لتتضح له الدرجة التي وصل إليها هذا المحقق المدقق ومكانته بين الفصحاء والبلغاء.

ب - الخطابة:

أما أسلوب الخطابة عنده فحدث عن جودته ولاخرج خصوصاً إذا كان موضوع الخطبة «الحث على الجهاد واتباع سبيل الرشاد» وهذه شذرة من شذرات خطبه ألقاها في ملأ من الناس:

« ألا وإن الله قد من عليكم بالإجماع بعد التشئت، وبالألفة بعد التفرق، ففتح بصائركم بنور الهدى، وبصركم من العمى، وأيقظ هممكم

شرح طلعة الشمس ج ١ ص ٢٤ ، ٢٥.

الى طلب العلا، وبعث عزائمكم بعد طول الثوى، فمن عليكم بهذه النعمة العظيمة. والمنن الجسيمة، وأنقذكم من الضلالة، وأخرجكم من الجهالة، فجمع على هذا الخير آراءكم، فاشكروا نعم الله عليكم، فان الشكر قيد النعم، وأوفوا بعهد الله يوف بعهدكم، وانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم»^(١)

ثم جعل مسك الختام لهذه الخطبة دعوات توجه بها الى الله جملأ تفيض بالروحانية وتشع بالنور. فما أولاهما بالقبول وأحراها بالاجابة. وهذه نبذة يسيرة منها: « أعز الله كلمتكم، وقوى دعوتكم، ورد اليكم نعمتكم، وأفلج حجتكم، وأكثر أموالكم، وكثر على الحق رجالكم، وصدق مقالكم، وشكر أعمالكم، ورضى آمالكم، ورتق بكم الفتوق، وأعطى بكم الحقوق، وأحياكم على سنن الصادق الصدوق، وأخمد أهل الفتن والمروق، وكان الله معكم وجعلكم معه، وكان لكم، وجعلكم له، ودفع بكم الأسوأ، وداوى بكم الأدوى، وأوضح بكم سبل الهدى، وأدام الله ستركم وأعز نصركم، وقوى قلوبكم، وطهر عيوبكم، وكمل بكم الإسلام، وأوصل بكم الأرحام، وجلا بكم الظلام، شد الله أزركم، ووضع وزركم، أنار الله بكم الشرع، وأطفأ بكم البدع، سكن الله بكم الروعات، وأذهب بكم الفزعات، حقق بكم الدماء، وجلا بكم من العمى، لأراكم الله سوء، ولا شمت بكم عدواً، حمد الله أمركم، ومد أثركم ورفع قدركم، وقوى صبركم، وشكر شكركم، وأعازكم جور المسالك، ومحل المهالك، وأدخلنا وإياكم دار الإسلام مع الحور في تلك الخيام، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقاً»^(٢)

ج - القصة:

وأما أسلوبه القصصي فلم يعتمد فيه على نسج الخيال، والحلل الفضفاضة التي كثيراً ما يلبسها المؤرخون وما يسوقونه من قصص

(١) العقد الثمين للشيخ السالمي ج ٤ ص ٢٦٣

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٣، ص ٣٦٤

ترويحاً وتنميماً لها، لتكون مؤثرة مقبولة تتناسب مع الأخيلة والأمزجة، أو تلهب المشاعر، أو تؤجج العواطف. بل هو شديد الحرص على الأمانة في النقل. والدقة في المأخذ.

وسيرته «تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان» أسطع برهان على النهج الذي اختطه لنفسه في نقل الوقائع وسرد الأخبار بعبارات خالية من التكلف وافية بالمراد، محققة للهدف، بعيدة عن التعسف.

ومع ذلك فتعبيره عن الوقائع التاريخية في الذروة من الجودة والسهولة وعذوبة الألفاظ وانسياق المعاني. مطابقة لمقتضى الأحوال والمقامات.

وللجانب الحماسي لديه حظوة فيما يتصل بالجهاد والمعارك الدائرة بين أهل الهداية وذوي الغواية كما يظهر ذلك جلياً لمن تتبع ما كتبه في المعارك والوقائع الحربية.

ومما يمتاز به أسلوبه في السيرة المشار إليها عدم التحيز لفريق على آخر كما انه لا يلجأ الى التنقص أو التهكم، حتى ولو كان من يريد إبراز حاله مستوجباً له. فلا تلجئه العاطفة، ولا يحمله الشنآن على مجانبة العدل. فهو يضع كل شيء في نصابه. فأهم شيء لديه إيصال المعلومات الى القارئ بأمانة وصحة نقل. وقل ما يتبع ما ينقله أو يسرده بتحليل أو تعليق إلا اذا لم يجد بداً من ذلك بياناً لمشكل، أو كشفاً لمعضل، أو استنباطاً لمسألة فقهية تتصل بواقع الحياة.

ولا يتسع المقام لايراد أمثلة من كتاباته في السيرة على ما ذكرت. بل أحيل القارئ على ذلك المعين لينهل منه متى أراد.

ثانياً - ملكته الشعرية

إذا كان الشعر هو الكلام الموزون المقفى المعبر عن الأخيلة البديعة والصور المؤثرة البليغة، الوثيق الصلة بالشعور الناجم عن شفافية الإحساس وصفاء الضمير، فإن لنور الدين السالمي ملكة راسخة وقدرة فائقة على السباحة في بحور الشعر، والتقاط النفائس من مكنون جواهرها فمع كونه لم يحفل به ولم يصرف نحوه همه وهمته. ولم يمسك بعنانه فإن له قصائد تعتبر من روائع الشعر في موضوعاتها. والمتأمل في غور قصائده بامعان يجدها منساقة الى النفس في عذوبة ألفاظ، وجزالة معان انسياق العبير الى الأنوف والعذب الزلال الى القلوب الصادئة. ان نتاجه في هذا المجال من عفو البديهة، وفيض الخاطر. والأغراض الشعرية التي طرقها في شعره هي الأغراض الشريفة التي تتناسب مع نهضته بمجتمعه، وما ينشده من استقامة، وما ينادي به من جمع الكلمة على الحق، والانضواء تحت لواء الهدى، فمن شعره إن لم أقل كله شعر حماسي يشف عن مضاء عزيمة، وشدة شكيمة، وصدق طوية، وسلامة قصد.

لنأخذ مثلاً على ذلك رائيته الغراء التي استهلها بقوله:

مقام في القصور على قصور مقام مثل ربات الخدور
فنصبح مثلها ونروح أيضاً على فرح بأنواع السرور

وهذه الرائية العذبة الألفاظ، المنتسابة المفردات والجميل. يظللها جو من التبرم بالأخلاقيات التي لها وجود في مجتمعه، ولو لم تكن على نطاق واسع، ولكن الهدف الرئيسي من انشائها استنهاض همة الأمة عن طريق توجيه اللوم اليهم ايقاظاً لعزائمهم.

لقد ألهتكم اللذات حتى تشبهتم بربات الخدور
لقد أسرتكم الشهوات حتى غدوتم مثل سكان القبور

وإذا كان فطاحلة الشعراء وفرسان الأدب يتبارون في نظم القلائد من
الجمال غزلاً ونسيباً ووصفاً وتشبيهاً. فان هذا الوحيد في عصره قد
أناخت به همته العالية في ساحة ذوي السيادة السامية حيث الهمّ والهمة
في ارساء دعائم العدل، وإحياء ما انطمس من معالم الهدى. ولنستمع الى
أبيات من فرائد قلائده إذ يقول:

لشغلي بأهل الدهر إحدى العجائب	وتركي طلاب العدل إحدى المصائب
فصوبت فكري أي حال يكون لي	مناراً به أسمى لأعلى المراتب
وأي مقام فيه أغدو مجانباً	لأهل الهوى والغى من كل لاعب
وأي خصال إن تحلى بها الفتى	تميز فيها عن ذوات الجلابب
وأي طريق أقتفي في سلوكه	سبيل رسول الله زين المناقب

- تعليق - انها والله اللهجة الصادقة، والعزيمة التي لاتعرف الكلل،
والأفعال مصداق للأقوال. فما كان ليقول ما لايفعل.

وإذا كان الشعراء ينفقون الثمين من أوقاتهم في تحبير القوافي،
وتتميق المدائح لتكون لهم مفاتيح لخزائن الملوك وذوي الرفادة. وإذا
كان التواحي فيما بينهم بأن يكون الأديب بمنأى عن ميادين الإقدام
والترغيب في الإخلاد الى الراحة، وإيثار السلامة في بحبوحة الهون. فان
هذا العلم قد سلك في شعره المنهاج الذي يوصل سالكيه الى ذرى العز
والشرف انطلاقاً من أن المقدّر كائن لامحالة. رضي الشخص أم أبى..
والبرهان على ذلك قوله:

هون عليك فان الرزق مقسوم	والعمر في اللوح محدود ومعلوم
فلا يزيذ على ما خط منه كما	لايدفع الجبن ما في الغيب محتوم
فبذلك الجهد في سعي تروم به	زيادة الرزق جهل منك مذموم
وصونك النفس عن موت تصادفه	وقد تأجل حمق فيك مرسوم
فهل تعجل عن ميقات مواعده	لقادم في الوغى والحرب مضروم

أم هل تأخر عنه لحظة لأخي جبن تخدر عنه وهو مهضوم
كلا وربك لايجدي الفرار كما لاينقص العمر اقدام وتصميم
ففي الشجاعة نيل المجد قاطبة وفي الجبانة كل الذم محتوم
وفي الشجاعة حصن لا انهدام له وفي الجبانة القاء وتسليم

- تعليق - وهذه الميمية نسجها على هذا المنوال وهي كما تسمع تدخل ألفاظها ومعانيها الى القلوب عبر الآذان دون حاجة الى استئذان.

مسلكه في الرثاء

قلما تجد أديباً لاتجيش شاعريته بمرثية. حسرة على مفارق، من إلف موافق، أو حبيب وامق، أو على مفضال بفيض العطاء دافق، أو قمة في الفضائل والخلائق، غير أن البواعث على الرثاء هي التي تحدد ملامح الشاعر وأهدافه ومراميه. كما تبرهن على صدقه حيال ما يعدد من مآثر من يصوغ الرثاء فيه.

ونور الدين - رحمه الله - تفوق مراثيه التي جاشت بها قريحته مراثي كثير من قدامى الشعراء ومحدثيهم، بالنظر الى نبل الغرض وسمو الهدف اضافة الى قوة المباني وجزالة المعاني، فلا تجده في الرثاء .. يمزق جلباب الحياء. كما انه يترفع أن ينوح نواح التكلى ولكنه ينطلق من واقع حياة من يرثيه معرجاً على الخلائق المتأصلة فيه متخذاً له ولن يشنف سمعه بفرائد قلائده، قدوة وعظة وعبرة ممن يحبر سيرته.

ولا أدل على ما أقول من مرثيتين فريديتين في نوعهما: رثى بأولاهما الشيخ الصالح صالح بن علي بن ناصر الحارثي ومطلعها:

قضت أحسابنا أن لاتدينا لحكم الحادثات وإن رزينا

وهي نونية تقع في اثنين وثلاثين بيتاً.

ورثى بالثانية شيخه المشار اليه وبمعيته ابنه الهمام عبدالله بن صالح، وأحد مشائخ نور الدين العلامة حمد بن سيف بن سعيد

البوسعيدي، والشيخ سعيد بن حمد الراشدي، ووالده حميد بن سلوم السالمي. وهي عينية رائعة عدد أبياتها ستون بيتاً.

ومن أراد الوقوف عن كثب عن ذلك السيب المردار فإني أحيله عليهما ليقراهما قراءة منصف متأمل. ولا بأس أن نلتقط من نفيس تلك الدرر ما تشنف به الآذان.

فمن أبيات النونية قوله في المطلع:

وعزم صادق يأبى علينا لغير المكرمات وان بلينا
وقوله:

فلا يحسب فتى انا انتنينا عن العليا لما فيها لقينا
واستمع اليه وهو يصف من يرثيه:

همام ليس يرضى غير صيد الكم ساة الصيد بين الصائديننا
له هم تدوس النجم تيهاً وعزم يبهر المتأمليننا
واليك من العينية التي بلغت أبياتها ستين بيتاً قطوفاً من يانع جناها:

أصبر على مضض المصارع فالدهر للأعمار قاطع
هوَن فإن العمر في الإنس أن من بعض الودائع
كُفْ المدامع أن تسيل فم عسى نفع المدامع
واعلم بأن الدهر لا يصفو لحال منك جازع

- تعليق - : ما أصدق هذا المطلع الذي يلوح من خلاله بارق براعة الاستهلال بشراً بين يدي غيث متتابع ينبت الصبر فيثمر الظفر وينعش الهمم ويوقظ العزائم ولا يتسع المقام لإيراد كل مرثيه وسرد المنتخب منها فكلها في واقع الأمر لآلئ ودرر تبهر الناظر بعين الإنصاف.
ولنعد مرة أخرى الى الأغراض المتعددة في شعره بعد أن أخذنا جولة سريعة حول المرثي:

ولم ينس - رحمه الله تعالى - أن يعزي خلف شيخه الصالح صالح بن علي الحارثي ولده عيسى مستنهضاً إياه ليسير على نهج أبيه . ومما قاله في ذلك هائية في اثني عشر بيتاً. استمع الى مطلعها:

خل البكاء وإن رزيت بمثله وانهض سريعاً في طريقة عدله
كما أنشأ هائية بدا فيها واضحاً لزوم ما لا يلزم في ثمانية وعشرين بيتاً وفي مطلعها يقول:

هو المجد فاطلبه وإن عز طالبه وجد وإن ضاقت عليك مذاهبه
وحيث كان مولعاً بالتحريض على الجهاد نصرة لدين الله ، وأظهاراً لما انطمس من معالم الشريعة فاننا نجد في شعره إناءً صافياً ينضح بالعذب الزلال الذي يحيي القلوب الميتة، ويبرد الأكباد الحراء. وما أحسن حائيته التي يقول فيها:

إن جاء نصر الله والفتح وبطل التدليس والشطح

والحائية تقع في خمسة وعشرين بيتاً. وهي في الواقع قلادة يزهو بها جبين الدهر. وهو حينما تتألب عليه المصيبات وتنيخ بفنائها رازم الرزايا، لا تفت في عضده ولا توهى كاهله بل تزيده صلابة في العزم وقوة في الشكيمة تشهد لذلك تائيته الرائعة التي استهلها بقوله:

أبت إلا المروات الأبيسة نفوس لا تقصر على دنيه
علت شرفاً وفلت كل خطب بأحساب وهمات عليه
وقابلت المصائب باحتساب مخفف صبرها ثقل الرزيه
مصائب بعضها في أثر بعض فلولاً الصبر لم تبق عليه
ولكن صانعت مني محيا تلوح به البشاشات البهيه

وهذه القصيدة من غرر قصائده وتقع في أربعة وعشرين بيتاً وإذا كان كثير من الأدباء والحكماء يتبارون في صوغ المقصورات تعبيراً عن مشاعرهم أو إبرازاً لمآثرهم ومفاخرهم. أو مآثر ومفاخر من يجلونهم

ويكيلون الثناء لهم.. فان نور الدين لم يفته أن يجاريهم بمقصورة. غير
أن مقصورته جاءت معبرة عما يخلج في مشاعره ويلهج به لسانه على
نحو المنهاج الذي اختطه لنفسه ودعا اليه حيث يقول في مطلعها:

خل عن ذكرى حبيب واللوى واطلب المجد بما الكف حوى
وابذل المجهود في نيل العلى والفتى وإن لم ينلها في هوا

والمقصورة تقع في خمسة وعشرين بيتاً، وكلها على هذا المنوال، ثم
اتبعتها بمقصورة أخرى من خمسة وعشرين بيتاً. ومن أبياتها:

أشجع الناس من الحرب اشتهى وإذا وافت قرنأ ما سهى

ولو تتبعنا أسلوبه في الأدب عامة نثراً ونظماً لوجدناه من أرقى
الأساليب وأدقها وأبينها. وقد استرعى انتباهي وأنا أتنزه في رياض
شعره هذا التشبيه الذي لم أجده لغيره. الذي ضمنه أبياتاً توقظ المشاعر
الخامدة فتبهجها الحياة من قصيدة بائية يقول فيها:

ما قام عز في البرية والرعا ع له سبب
كالطود ليس يطيقه بيت بسقف من خشب
فابن العلا بجبال عز لا يزعزها الرهب
وارم العدا بسهام من ترمي به حالاً تصب
بأماجد شم لهم في الناس سابقة الحسب

تأمل معي هذه الإستعارات مع ذلك التشبيه: حيث شبه العز الذي
هو رمز الدولة بطود عظيم شامخ لا يمكن أن يستقر الا على أرض صلبة
فلا يحمله بيت سقوفه من خشب مهما بلغت من الصلابة والضخامة.
وما أروع استعارة الجبال المضافة الى العز للرجال الأماجد ذوي
الحسب الرفيع.

« مختاراته الشعرية »

ليس الشعر الذي تناولنا قطوفاً منه هو وحده المرآة الصافية التي تعكس لنا رسوخ قدم نور الدين - رحمه الله - في الأدب، بل لهذا العلم جوانب أخرى نستطيع من خلالها أن نتبين تمكنه في الأدب وسموه الى ذراه، وتبوأه فيه المكانة المرموقة بين سائر أقراته. منها علي سبيل المثال لا الحصر ما وقفت عليه من خلال قراءتي لمجموعة مناظيمه من مختاراته الشعرية لغيره. فقد أدرج كاتبها قصائد من عيون الشعر في تلك المجموعة. ولما سألت حفيده الشيخ سليمان عن سبب ذلك أكد لي نقلاً عن والده أن الشيخ نور الدين - رحمه الله - كان كثيراً ما يحب الاستماع الى تلك القصائد المختارة لديه. وكان يحث على حفظها.

ومن بينها: المراثية الرائعة التي رثى بها أبا الحصين الإمام عبد الله ابن يحيى طالب الحق وقرنائه واخوانه من رجال الدعوة كمرداس بن حدير وأبي حمزة الشاري ومطلع هذه المراثية:

هبت قبيل تبلج الفجر	هند تقول ودمعها يجري
ان أبصرت عيني مدامعها	ينهل وأكفها على النحر
انى اعتراك وكنت عهدي لا	سرب الدموع وكنت ذا صبر
أقذى بعينك ما يفارقها	أم عائر أم ما لها تدري
أم ذكر اخوان فجعت بهم	سلخوا سبيلهم على خبر ^(١)

إن اختياره لهذه الرائية واستحسانه لها يوضحان مدى ذوقه الرفيع واحساسه المرهف وهي جديرة بأن يهتم بها الأديب والداعية. ومن مختاراته - رحمه الله - قصيدة عمرو بن العاص اللامية التي يخاطب بها معاوية مذكراً له بما له من فضل عليه:

معاوية الفضل لا تنسى لي	وعن منهج الحق لا تعدي
نسيت احتيالي في جلق	على أهلها يوم لبس الحلي

(١) أنظر القصيدة بطولها في الأغاني. لأبي الفرج الأصفهاني.

ومن تلك المختارات أيضاً رائية ابن الجهم التي منها:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
أزلن رسيس القلب عن مستقره وألهبن ما بين الجوانح والصدر^(١)

ومما كان يستحسنه من شعر سليمان بن سليمان النبهاني رائيته
التي أبدع فيها والتي استهلها بقوله:

اللدار من أكناف قو فعرعر فخبث النقا بطن الصفا فالمشقر
كان سطوراً معجمات رُسومها إذا لحن أو هلهال بررد محبر^(٢)

وقد قال الشيخ - رحمه الله - عن هذه الرائية المليئة بالألفاظ الجزلة
والمطرزة بالمعاني الرائعة الرفيعة انها تضاهي المعلقات:

ولنعد بالذاكرة الى ما كان يتمتع به نور الدين - رحمه الله - من
موهبة في النظم لا تبارى وماله فيه من باع طويل يعجز عنه الفحول من
الشعراء.

فاقوى برهان وأدله على ما أقول كتابه «جواهر النظام» الذي حبك
فيه نظمه البديع الرائع مع أرجوزة الصائفي بحيث لا يستطيع التفرقة
بين أبيات الأصل وأبيات الجوهر إلا من قرأ الأرجوزة وحدها مرة بعد
أخرى.

ومن أبدع ما نظمه نور الدين كتابه «مدارج الكمال» ، الذي ضمنه
مختصر الخصال للإمام ابراهيم بن قيس الحضرمي - رحمه الله - الذي
بلغت أبياته ألفي بيت في أروع أسلوب وأرفعه. ولا داعي ليراد شواهد

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فما رأى كمن سمعا
وأكرم بأرجوزة أنوار العقول التي أبرز فيها معالم علم التوحيد
مبتدئاً إياها بقوله:

(١) انظر القصيدة بطولها في الأغاني. أبي فرج الأصفهاني. ج

(٢) ديوان سليمان بن سليمان النبهاني.

شمس الأصول في نهى ذوي التقى

الحمد لله الذي قد أشرقنا

ومختتماً لها بقوله:

حاوية أهم شيء من الأصول

تمت بحمد الله أنوار العقول

سالكة طريقته الكمال

عارية من وصمة الإخلال

تصونه من كل قول كاذب

أهديتها صرفاً لكل طالب

كما قرضها بهذه الأبيات:

لا ولا اشراق شمس أو قمر

هذه الأنوار لا نجم زهر

مطلع زانت به تلك الفكر

فلها الباب أرباب العلى

وحوت كل مهم معتبر

قربت في فنها ما قد نأى

شهدوا وضع مبانيها الغرر

ليت أشياخي الألى قد سلفوا

وانتحيالي لمعانيها الدرر

ورأوا تنقيحها في جمعها

ولها عندهم أعلى قدر

فلهم فيها مجال واسع

ما أروع هذه الأبيات التي تسيل رقة وعذوبة ولا بدع فان شاعريته
مرآة تعكس تمكنه في الأدب وبلوغ الذروة فيه.

وأعجب من أنوار العقول التي أبرزت معالم علم التوحيد منظومته
شمس الأصول وهي ألفية زخرت بقواعد علم الأصول في أسمى معانيها
وأعلى مبانيها في منهجية متميزة بعرض تلك القواعد على الأصول عرضاً
أبياً يحجب علم الأصول الى النفس مع كونه صعب المنال ولكن قلائد
الياقوت والمرجان التي أشرق بها هذا الفن جعلته غاية من اليسر
والسهولة ولست بصدد دراسة وافية لأسلوبه الأدبي الفائق الرفيع في
نثره ونظمه فهذه الوقفات ما هي الا اشارات عابرة وهي بضاعة
مزجاة.

« نور الدين السالمي واللغة »

إذا كان المتمكن في اللغة الغواص في بحارها والملتقط لنفيس دررها في مكانها والمبرز في اختيار مفرداتها وجملها في مختلف فنونها وشتى طرقها هو الذي يطلق عليه اسم اللغوي ويوصف بأنه إمام في هذه اللغة حتى ولو لم يؤلف معجماً خاصاً به فإن الشيخ نور الدين - رحمه الله - أولى من يقال عنه انه إمام في اللغة، فأسلوبه التعبيري في كلامه المنتثر في مؤلفاته العديدة يدل على رسوخ قدمه في لغة العرب، فلا تجد في فقرة من فقرات مؤلفاته كلاماً حوشياً ولا غريباً ولا متنافراً، فكلما قرأت فصلاً من كتاب شدك ذلك الفصل إلى أن تكمل قراءة الباب وكلما أكملت باباً توقدت فيك الهمة إلى أن تتنزه في رياض الكتاب وما ذلك الا للبلاغة الباهرة والفصاحة الظاهرة والتراكيب اللغوية السالمة من العيوب ولا يتسع المقام لدراسة مفصلة وإيراد مقاطع من كلامه في مؤلفاته الا نزرا يسيراً ولكي أحث القارئ أن يفتح بصره وبصيرته على مؤلفين لها صلة بالموضوع الأول كتاب «شرح بلوغ الأمل في المفردات والجمال» وهو في أربعة أبواب.

وهأنذا أورد مقتطفات من مقدمة الكتاب مصداقاً لما أشرت اليه من موهبته الفذة في اللغة العربية.

ولعل من يقرأ المقدمة تشده قراءتها إلى التنزه في رياض الكتاب ليقتطف من أزهارها ما ينعش فكره.

يقول : (أما بعد : فهذه منظومة في تفصيل الجمل من بها عليّ ربي عز وجل سميتها بعد تمامها ببلوغ الأمل ضمنيتها الاعراب عن قواعد الاعراب وهو كتاب جليل في هذا الباب خال من الحشو والاطناب ومن التطويل والاسهاب لابن هشام صاحب المغني وقال: نظمت منه حال الابتداء ما وسعه ذهني وقد شرحته في ذلك الحال شرحاً على قدر الحال

وذلك سنة خمس وثلاثمائة وألف ثم لاحت مني التفاتة الى ذلك المنظوم وإلى شرحه المعلوم في سنة خمس عشرة وثلاثمائة وألف فقرأت عليّ ذلك النظم مع شرحه المذكور فرأيت ما فيه من قصور عن مرام أصله المشهور فتداركته بزيادة أبياته كان ذلك النظم منها خالياً وكسوته هذا المزيد مع الخطبة حلاً كان ذلك الشرح منها عارياً ثم أبقيت شرح الأبيات الأول على ما فيها من خلل ليكون ذلك على عجزي دليلاً وليعلم المبتدئ أن العلم انما ينمو قليلاً قليلاً وليستبين الفرق بين درجتي المبتدئ والمنتهي والكل بفضل الله يبتدئ وبتوقيفه ينتهي وهذا أول النظم المشار اليه والكل منه تعالى واليه).

ولعلك تدرك معي أيها القارئ لهذا النص مغزى الإشارة بقوله: «وليستبين الفرق بين درجتي المبتدئ والمنتهي» والمتتبع لفصول هذا الكتاب تعبيراً وتأصيلاً واجملاً وتفصيلاً يجد مصداق هذه الإشارة في التحقيق والترجيح اللذين أبدهما في بعض المسائل وميض ينبئ عن غيث منسجم سيال بالمعرفة:

وهذا الشرح كما يبدو واضحاً كتبه المؤلف بعد فترة من نظم الأرجوزة المشروحة لأنه أشار بل صرح لأن الأرجوزة هي أول مؤلف له يتحف به المكتبة العلمية: وهو يقول:

سميت نظمه بلوغ الأمل	إذ بالنظام قد بلغت أملي
ولم أصنف قبله مؤلفاً	قط فيعفو الله عن عبدي هفا
اذ ليس يخلو أبداً من زلة	مؤلف وإن علا في المرتبة
فكيف يخلو من عثار مبتدي	وإن يكن بالسابقين مقتدي
إذ فهمه ينبو عن الوصول	لمدرك الفهم من الفحول

والكتاب وإن كان صغير الحجم فهو عميم النفع فمتنه ميسر للحفظ وشرحه يكسوه حلاً سندسية تروق للناظر وتبهج الخاطر ولا أريد أن

أتوسع بإيراد نبذ من ذلك الشرح الفريد من نوعه ايضاحاً وتنسيقاً
فحسب القارئ أن يقلب صفحات الكتاب ليجد البرهان على ما أقول.

وأما المؤلف الثاني فهو كتاب «المواهب السنية على الدرة
البهية» شرح فيه الدرة البهية لشرف الدين بن يحيى العمريطي نظم
متن الأجرومية لأبي عبدالله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي
المعروف بابن أجرومي أي الفقير الصوفي.

وشرح نور الدين - رحمه الله - شرح مختصر في جزأين لطيفين غير
انه دليل واضح على البراعة التي يتمتع بها مؤلفه كما أن أسلوبه المتميز
بالوضوح والشمولية مع كونه مختصراً دليل آخر على حسن تصرفه
وسعة علمه ولا بأس بذكر مقتطفات من مقدمات الشرح ليستشف المطلع
عليها ما وراءها من خبايا تضم أنفس الدرر.

يقول المؤلف: « نحمدك يا من رفع من نحى نحوه بضم المواهب اليهم
ونصب دلائل معرفته بالفتح المبين لديهم فانخفضوا لسلطانه بالتدلل
والانكسار وانجزموا في خدمته بالسكينة والوقار ونصلي ونسلم على
أفصح ناطق وأفضل صادق سيد الأولين والآخرين وخاتم النبيين
 والمرسلين وعلى آله وصحبه وأصحابه الحائزين مبتدآت الأمور
ومصادرهما والحارزين أفاضل المساعي وأفاخرها وعلى تابعيهم
المؤكدين لنعوتهم بأحسن ثناء العاطفين بسبق الاقتداء ما تحرك به
ساكن وما سكن متحرك».

ان هذه الشذرات التي يتزين بها تاج الكتاب كأنها فهارس مبرمجة
لأهم أبواب النحو وفصوله صاغها المؤلف فأودعها تلك الجمل القليلة
العدد الغزيرة المدد.

أما عن طول باعه في التدقيق والتحقيق فينبىء عنه ما بثه في ثنايا
مؤلفاته من مسائل ناقشها وأبدى رأيه فيها فكان من فرسان حلبة
البيان ينقد ويرجع ويستدل ويصحح. وتبدو موهبته اللغوية الفذة
واضحة جلية عندما ينبري لشرح مبهم وفتح مستغلق أو ايضاح مشكل

بأسلوب لا يمل وإيضاح لا يحتاج المطلع على ما يراد شرحه إلى البحث عنه في مؤلف آخر.

وكتابه الذي سماه «روض البيان على فيض المنان في الرد على من ادعى قدم القرآن» للعلامة سعيد بن حمد الراشدي المعاصر له الذي حبر فيه بعض مرثيته أبرز دليل على ما أقول، وهذا نص من الكتاب أضعه بين يدي القارئ وهو واحد من عشرات النصوص الحافلة بالمباحث اللغوية واللطائف اللدنية . يقول - رحمه الله - شارحاً لهذا البيت:

ورميتهم عن قوس بغى بالذي ألبسته من خالص البهتان
(فرمى بمعنى قذف على حد قوله تعالى ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ أي يقذفونهن، مأخوذ من رمي الوتر عن القوس.
والقوس يذكر ويؤنث آلة الرمي في الزمان القديم، وسمي قوساً لانحنائه.

والبغي الظلم والتعدي وإضافة القوس اليه من إضافة المشبه به الى المشبه على حد قول الشاعر:

والريح تعبت بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل عن لجين الماء
والوجه الجامع في تشبيه البغي بالقوس هو أن البغي تصدر عنه الأشياء المفسدة لبنية الحيوان، وقرن القوس بعن لأن العرب تقول: رميت عن القوس ورميت على القوس. ولا تقول: رميت بالقوس إلا إذا أرادوا القاء نفس القوس من اليد. وفي قرنه بعن اشعار بأنهم نحو السهم عنه وفي قرنه بعلى اشعار بأن السهم كان موضوع فوقه^(١)
فبعد هذا البيان المجلي للمفردات التي وردت في البيت أحتاج من قرأ هذا النص للبحث عنها في معاجم اللغة.

وليس التبيان مقتصراً على معاني المفردات ولكنه برز لما فيه من لطائف بلاغية كما في تشبيه البغي بالقوس الحامل من إضافة المشبه

(١) مخطوطة روض البيان على فيض المنان - مكتبة السامي.

به الى المشبه ، وذكر وجه الشبه الجامع بينهما ، وهكذا نجد العشرات من النصوص التي شرح بها . هذه النونية .

وأعذب ما في تحايله اللغوي التوجيهات والتعليلات لوضع المفردات في مواضعها من الجمل والاطلاقات والتسميات فلا يغادر اطلاق تسمية على شيء تحتاج الى بيان مناسبة إلا أعطاها حظها من التعليل والإيضاح ولا سيما لدى التشبيهات والاستعارات وعلاقات المجاز لناخذ مثالا واحداً من بين عشرات الأمثلة هذا النص الذي شرح به هذا البيت :

متعسفاً بيداء جهل راكباً عشواءة تهوي بغير عنان

قال — رحمه الله — : «متعسفاً حال من التاء في قوله «ورمنيهم» والتعسف هو فعل الشيء من غير رؤية ومنه تعسف الطريق اذا سلكها من غير قصد .

والبيداء المكان المنقطع الذي لاماء فيه ، وسمي بذلك لأنه يبيد السالك فيه أي يهلكه ، ويسمى أيضاً مفازة من باب تسمية الشيء بضده تفاقواً بالفوز من أخطارها كتسمية اللديغ سليماً تفاقواً بسلامته .

شبه الجهل بالبيداء بجامع أن كلا منهما يهلك صاحبه بالأخطار المجتمعة فيه وأضاف المشبه به وهو البيداء الى المشبه وهو الجهل ليحصل له تنفير السامع من ارتكاب الجهل لأن تلك الإضافة كأنها تشعر أن الجهل هو تلك البيداء لاغيرها فهو أبلغ من قولنا «زيد أسد» لأن اضافة المشبه به الى المشبه توهم أن للمضاف أنواعاً أحدها هذا النوع المضاف الى هذا المخصوص فكأن البيداء في كلام الناظم متنوعة الى بيداء جهل وبيداء غيره فخصصها باضافتها الى الجهل فحصل المقصود»^(١)

ثم يختم شرح هذا البيت بعد أن أوضح كل الإيضاح ما احتاج إلى بيان من مفردات وجمل بقوله :

« شبه المصنف حالة هذا القاذف لأهل الحق بحالة رجل لا تمييز له راكباً على فرس لا بصر لها ولا لجام يمنعها تنقض به في بيداء ذات

(١) مخطوطة روض البيان على فيض المنان مكتبة السامي .

مهاو مهلكة لسالكها. والجامع بين المشبه به والمشبه هيئة منتزعة من عدة أمور. فوجه التشبيه على حد قوله:

وقد لاح بالفجر الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا^(١)
إن سحر البيان تلوح بروقه في هذا النص وأمثاله فلا يملك الفكر الذي يجول فيها الا أن يسلم لمنشئها انه إمام في اللغة إمام في البيان. وشرح هذا الكتاب الفريد من نوعه نسج على هذا المنوال مع غزارته في موضوعه «الرد على من ادعى قدم القرآن» فليس ما فيه من التحليلات اللغوية واللطائف البيانية الا حلل بهية يزهو بها.

أما عن التحقيق واقامة الحجج فيما يتطرق اليه من مباحث لغوية التي لها صلة مباشرة بعلم الأصول فانك تجد ذلك مفصلاً في أبواب كتابه «طلعة الشمس» الذي شرح به شمس الأصول.

وعلى سبيل المثال ما جادت به قريحته في مبحث المشترك اللفظي والمعنوي من ترجيح وتصحيح بعد عرض الأدلة والاجابات عليها، وقد يبين بما لاغبار عليه ان الخلاف بين المختلفين في وجوده ومحله انما هو خلاف معنوي لا خلاف لفظي^(٢).

وعندما نقل ما قاله أئمة اللغة وأئمة الأصول في استعمال «من» و «ما» لذوات العقلاء وغيرهم أو صفات العقلاء استخلص ما حاصله أن دلالة «من» على صفات من يعقل انما هي دلالة مجازية ، ودلالة «ما» على ذلك دلالة وضعية حقيقية، وذلك أن «من» قد تستعمل بمعنى «ما» مجازاً كما في قوله تعالى ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾^(٣) وقد تستعمل «ما» بمعنى «من» مجازاً أيضاً على قول كما في قوله تعالى ﴿والسماء وما بناها﴾^(٤) وقوله تعالى ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾^(٥) وعندما سرد أحكام المجاز وتطرق الى الحكم الذي هو الأخذ بالمجاز

(١) مخطوطة روض البيان على فيض المنان مكتبة السالمي.

(٢) طلعة الشمس ج ١ ص ١٤٠ - ١٤٢ / وزارة التراث القومي والثقافة.

(٣) سورة النور..

(٤) سورة الشمس.

(٥) سورة الشمس.

وترك الحقيقة لمقتضى يدعو اليه فيما اذا أراد اللفظ بين الحقيقة والمجاز وكان المجاز أظهر اختار رجحانية المجاز على الحقيقة فهو يقول بعد ذكر الخلاف وأدلة كل فريق «وأقول: إن رجحانية المجاز بالقرينة الدالة على ارادته ولو لم تكن مانعة من ارادة الحقيقة ظاهرة فانه وان كانت الحقيقة هي الأصل فقد يترك الأصل بدليل»^(١)

فأنت ترى أن اختياره لم يكن اعتباطاً وإنما كان تبعاً للدليل الأقوى ولا يصل الى مثل هذه الاختيارات في المباحث اللغوية ولا سيما استعمالات الألفاظ في حقائقها ومجازاتها إلا ذو باع طويل في مجالات اللغة.

وعند كلامه على «أو» وذكر معانيها واستعمالاتها أوضح بجلاء أن «أو» إنما هي موضوعة لأحد الشيئين المتوسطة بينهما وليست موضوعة في الحقيقة للشك أو التشكيك أو الإبهام أو الإضراب أو غير ذلك من المعاني التي ذكر أئمة اللغة أن «أو» تفيدها وضعاً. بل جعل مرد تلك الأحوال الى القرائن باعتبارها ثمرات لاستعمالات اقتضتها قرائن الأحوال لها أن «أو» موضوعة في الأصل لتلك المعاني.^(٢)

ولم يكن كلامه في معاني «أو» واستعمالاتها سطحياً دون أن يعرج على ما ينطوي عليه بعض تلك الاستعمالات من لطائف وأسرار يظهر ذلك جلياً عند كلامه على عموم «أو» بعد النهي كما في قوله تعالى ﴿وَلَا تَطْعَمْنَاهُمْ مِنْ ثَمَرِهِمْ حَتَّىٰ يَذُقُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ أَوْ يُكْفَرُوا﴾^(٣) في قوله «والسر في إفادتها العموم ههنا انها لأحد من غير تعيين وانتفاء الواحد المبهم لا يتصور الا بانتفاء المجموع فقوله تعالى ﴿وَلَا تَطْعَمْنَاهُمْ مِنْ ثَمَرِهِمْ حَتَّىٰ يَذُقُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ أَوْ يُكْفَرُوا﴾ معناه لا تطعم أحدا منهم وهو نكرة في سياق النفي فيعم»^(٤)

هذا وما أوردته في هذه الصفحات القليلة إنما هو غيض من فيض وقطرة من بحر، وليس مغنياً ولا مستقصياً، ولكنها اشارات تستشف منها شخصيته الأدبية واللغوية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) طلعة الشمس ج ١ ص ٢١٤، ٢١٥

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٣

(٣) سورة الانسان

(٤) طلعة الشمس ج ١ ص ٢٣٤

السامي فقيها ومحققا

إعداد / د. صالح بن أحمد الصوافي

تقديم:

الحمد لله الذى أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي الإسلام لنا ديناً، وأحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، أكرم الإنسان بالعلم، وزينه بالحلم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، تركنا على المحجة البيضاء.. ليلها كنهارها .. لا يزيغ عنها إلا هالك .. صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسار على نهجهم واقتفى.

أما بعد: فمنذ فجر التاريخ الإسلامي، والأمة الإسلامية تسير سيرة مشرقة الصفحات، ناصعة البيانات في تخليد أساطين رجالاتها من الرعيل الأول، وأئمتها قادة الفكر والعمل، الذين كانت لهم اسهامات ثرية، ومؤلفات بهيئة عطاءات تاريخية، ولعلّ هذا التخليد يفي ببعض من الواجب، تجاه أولئك الأفاضل، وفيه موقف مشرف يحمل وفاء بالعرفان، واعترافاً بفضلهم في كل ميدان.

ولقد أسهم كثير من أصحاب الأقلام السيالة والأفكار الجياشة، في اظهار مجموعة من المؤلفات القيمة في الفقه والتوحيد، في السير والتاريخ، في اللغة والأدب، في التفسير والحديث، والى جانب ذلك ظهرت مؤلفات أخرى، وكتابات متنوعة في التراجم للأعلام، لأولئك الجهابذة الذين هم هداة الأمم وقادتها، ومفكروها وساستها.

وهذا البحث - المتواضع - يأتي في مسار سير الأئمة الأعلام وبناءً على دعوة كريمة من «المنتدى الأدبي» الذي يشرف على اهتماماته المباركة صاحب السمو السيد / فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد، وزير التراث القومي والثقافة الموقر.

وانه لشرف كبير ومن السعادة بمكان أن تسند إلى مهمة الكتابة عن هذا المجدد العظيم ، وفاء ببعض الواجب تجاهه واستجابة للدعوة الكريمة التي تلقيتها من رئاسة «المنتدى الأدبي» مقدراً لهذا الصرح الثقافي جهوده المباركة تجاه أئمتنا الأعلام.

وقد سعت جاهداً أن أقدم في بحثي هذا عرضاً موضوعياً يتلاءم وجلال المناسبة.

وبما أن مكانة هذا الإمام العلمية منها والعملية معروفة عند العمانيين بصفة خاصة وعند غيرهم بصفة عامة فإنه ليصعب عليّ الإحاطة بحياته الخالدة المليئة بالعلم والمعرفة، والطافحة بالأفكار النيرة المتوهجة، فقد آتاه الله من عطاءاته وأغدق عليه من نعمه، ووهبه من فيوضاته، بالقدر الذي يجعله أهلاً لحمل راية الإسلام، والتحدث باسم الإسلام، ومن ثم كان فضل الله عليه عظيماً.

وأقول بصراحة ووضوح، إنه مهما يتبارى الكاتبون والمتحدثون عن هذا الرجل العلامة - السامي - فإن كتاباتهم لن تفيه حقه، وهذه الصفحات التي أكتبها عن هذا الإمام وبكل تواضع فهي لاتطمع أن توفيه - رضي الله عنه - بعض حقه، ولا تزعم أنها تقدم - السامي - إلى القراء إنما هي إشارات تومئ من بعيد على استحياء إلى بعض إسهاماته العلمية، التي جعلت أفئدة الناس تهوي إليه في حياته وبعد موته، والتي جذبت ولاء الناس

له ولاءً منقطع النظير، حاملة مبادئ الدعوة ، ورافعة مشعل العلم. فجعلت من كل عبقها وعبيرها شذى يعطر الآفاق، ويستميل القلوب ويمكن تلخيص هذا البحث في المحاور الآتية:
المحور الأول : إشراق شمس مولده وملامح نشأته.
المحور الثاني : التحاقه بالمدرسة الرستاقية وشيوخه فيها.

المحور الثالث : هجرة علم وعمل.

المحور الرابع : مؤلفاته وأهميتها فقهاً وتحقيقاً.

المحور الخامس: السالمي في ذمة الله.

ولا يسعني في نهاية هذه المقدمة الا أن أتمنى لهذا الصرح العلمي «المنتدى الأدبي» أن يشق طريقه لإحياء ذكرى أساطين هذا البلد المعطاء، في هذا العصر الميمون المبارك، عصر العلم، في ظل القيادة الرشيدة لسلطان البلاد المفدى.
هذا وبالله التوفيق.

الباحث

المحور الأول

- إشراق شمس مولده، وملامح من نشأته.

- المولد النشأة.

تمهيد :

إن تاريخنا العmani شهد رجالاً عقدوا عزمهم على الوصول الى غاية تناهت في السمو والرقى، والعدالة والصفاء ، ثم نذروا لها حياتهم على نمط تناهى في التضحية والشجاعة، والبذل والعطاء.

ومن هؤلاء الرجال «العلامة السالمي» الذي كان اشراق شمس مولده رؤى صادقة ومنعطفاً جديداً في تاريخ عمان الخالد.

المولد :

لقد صافحت عيناه نور الحياة عام ألف ومائتين وست وثمانين هجرية سنة ١٢٨٦ هـ في قرية من أعمال «الريستاق» تسمى «الحوقين» ولد فيها ، ونشأ نشأته الأولى بين رياضها، حتى شبَّ عوده، وترعرع جسمه، واتقد فكره، قرأ القرآن الكريم في مدرسة والده حميد وكان رجلاً فاضلاً ورعاً.

ولقد شاء الله - سبحانه وتعالى - أن يكف بصره وعمره آنذاك إثنًا عشرة سنة، ولكن الله فتح بصيرته إذ كان يتمتع بحفظ خارق ، وذكاء وقاد، وذاكرة كالعدسة المصورة التي تلتقط جميع ما تصوره. فلقد كان - رحمه الله - لا يستمع الى شيء من مسائل العلم أو أبوابه إلا وحفظه حفظاً متقناً، ولعلَّ هذه من الخاصيات التي يودعها الله أصفياه وأوليائه وأهل طاعته.

ولقد كان من ندرة حفظه، وقوة ذاكرته، أن حدث أهله بعد أن شب عوده، متحدثاً بفضل الله عليه، وذاكراً النعمة التي منحه الله إياها، أنه حفظ وهو ابن أربعة أشهر أو دونها حسب تحريه هو بنفسه^(١)

النشأة:

نشأ - رضي الله عنه - نشأة الطهر والعفاف، والنقاء والزكاء. ولقد كانت نشأته هذه حديث أهل بلده وأقرانه، متحدثين عن طفولته، عن سماتها، عن اشراقها، عن مشاهدتها، يردد بعضهم ما أعظمها بأنه طفل غير عادي، وأنه ينطوي على سر مخبأ لا يعلم كنهه إلا الله، غير إنهم كانوا مقتنعين أن هذا السر ستكشفه الليالي والأيام، وبالفعل ما هي الا سنوات قلائل حتى انكشف ذلك السر في جميع حالاته، فهناك سر الرجولة التي كانت ملء كل قلب، وأذن وعين، وهناك سر الضمير، فلقد أصبح - رضي الله عنه - ضمير مجتمعه وقومه. وهناك سر العلم، فلقد منحه الله من فيوضاته العلمية الغزيرة، فكان محط الأنظار، ومهوى الأفئدة، وشيخ العلم والعمل، تضرب اليه أكباد الإبل من كل حذب وصوب فحياته جميعها أسرار، أصبحت واضحة المعالم مقروءة القسما بدءاً من المهد وانتهاءً باللحد.

(١) نهضة الأعيان للشيخ محمد بن عبد الله السالمي ص ١٠٠ وأيضا مقدمة

المحور الثاني

- التحاقه بالمدرسة الرستاقية وشيوخه فيها.

- المدرسة شيوخه :

- المدرسة :

المدرسة الثانية التي تلقى فيها العلم تقع بمدينة (الرستاق) والرستاق بضم الراء السواد والقُرى، الرزدق الصف من الناس ، والسطر من النخل.

وفيه ثلاث لغات : الرستاق ، والرزداق ، والرسداق، وهي تبعد عن مسقط العاصمة ما يقرب من ١٦٥ كيلو متر، جنوب ولاية «المصنعة».

ولقد تلقى شيخنا السالمي علوماً جمّة في هذه المدينة «الرستاق» في تلك المدرسة، التي كانت تزخر بالعلماء الأخيار، والفقهاء الأبحار كالعلامة الشيخ راشد بن سيف للمكي، والشيخ العلامة عبد الله بن محمد الهاشمي وغيرهم. فأخذ عن الشيخين المذكورين الكثير من العلوم، لقد بلغ في العلم شأواً كبيراً، ونال من المعرفة قسطاً عظيماً، فهو العالم العامل، والمؤلف البار، شرع في التأليف وعمره آنذاك سبع عشرة سنة حيث ألف أرجوزته المشهورة «في الجمل» ثم قام بشرحها شرحاً وافياً محققاً جامعاً، مما يدل على حدة ذكائه، وقوة فهمه، وسعة علمه.

شيوخه : أولاً : الشيخ للمكي:

لقد قلت سابقاً أن - الإمام السالمي - تتلمذ على الشيخ العلامة راشد ابن سيف للمكي - رحمه الله - ولكانة هذا الشيخ الفقهية والاجتماعية ولكون شيخنا السالمي أخذ عنه أكثر العلم ليجدر بنا أن نبين للقارئ الكريم لمحة عن حياته وجهوده المباركة.

هو راشد بن سيف بن سعيد للمكي، ولد عام اثنين وستين ومائتين وألف بمحلة «قمري» من «الرستاق» فنشأ بها وتعلم العلوم وكان

ملازماً للسيد الزاهد فيصل بن حمود بن عزان والشيخ العلامة ماجد ابن خميس العبري وقضى فترة من الوقت مدرساً «بالمدرسة الرستاقية» في مسجد قمري، ويروي الشيخ محمد بن عبد الله السالمي في نهضته أنه - رحمه الله - كان يجتمع اليه الطلبة في المسجد المذكور من أجل تلقي العلم، والعلّ من معينه، وكان الشيخ يبذل جهوداً مخلصة تجاه طلابه وكان متواضعاً، فبعد أن يجن الليل كان يضيء بنفسه الاضاءة في المسجد حيث بلغ عدد المصابيح سبع وحدات لكي يحلق حولها طلاب العلم.^(١)

تخرج على يديه جملة من العلماء ، من بينهم ، شيخنا العلامة السالمي والشيخ سالم بن سيف اللمكي والشيخ العلامة الزاهد محمد ابن شامس الرواحي وغيرهم كثير.

كان الى جانب اهتمامه بالعلم والتعليم يهتم أيضاً بالدعوة ، دعوة الناس للمثابرة الى الخيرات، والمسابقة الى صنوف القربات، ولما لدعوته هذه من أثر في قلوب الناس، تبرع كثير من الأغنياء بحبس أموالهم على المتعلمين والمساجد ومختلف أبواب البر والصلاح. وله مؤلفات قيمة أثرت المكتبة الاسلامية، من بين هذه المؤلفات، «المسالك في علم المناسك» و «منظومة في السلوك» و «منظومة في فضل العلم» وأخرى «في نشر الحق» كان رجلاً مقداماً شجاعاً عاملاً ورعاً. له مواقف خالدة، وآراء ساطعة، توفي عام ١٣٣٣ هجرية عن عمر يبلغ احدى وسبعين سنة قضاه في العلم والعمل والصلاح والخير حوى هذا الشيخ من العلوم ما فاق به أقرانه.

عاش في وقت وعمان بحاجة الى أمثاله، نذر حياته للعلم والعمل به، توفي والجميع عنه راضون.

(١) نهضة الأعيان ص ٢٣٢

ثانياً - الشيخ الهاشمي:

وممن أخذ عنهم العلم أيضاً الشيخ العلامة عبد الله بن محمد الهاشمي عرف بين الخاص والعام بفضلله وزهده وورعه، رأى - رحمه الله - المناصب تبحث عن موظفين من المسلمين، والأموال تأتي من هنا وهناك فما شغله ذلك عن العلم والتعليم، ولا صرفه صارف عن الاختبات والتواضع لله الحي القيوم، تنحصر أمانيه في أمنية واحدة هي رضا الله وحده، قضى حياته في العلم والعمل الصالح، ودعوة الناس الى الخير والبر والهدى.

هذه ومضة من حياة مليئة بالاستبسال وعظيم الهمة عاشها - العلامة الهاشمي - في سبيل الله ورسوله، ودينه،

عندما قدم - الإمام السالمي - اليه ، ليلتحق بمدرسة الرستاق الزهراء استقبله شيوخها استقبال الوالد الحنون الذي يحمل كل الحب والاجلال وجوانح الشوق العظيم فرحاً به وبانضمامه الى قائمة تلامذتهم، قدوم مبارك وميمون. ومضت الأيام ينادي بعضها بعضاً ومع كل يوم تزداد همة السالمي، وعندما رأى الأستاذ نجابة تلميذه، وحدة ذكائه، ومضاء عزمه، طارت نفسه فرحاً بتلك المشاهد، وكأن «السالمي» على موعد مع الشيخين للمكي والهاشمي، فأخذوا بجد ومثابرة يتابعان خيوط النور في مسراها على قسماات وجه النور السالمي، الذي أصبح إماماً فيما بعد.

وكان السالمي كلما سمع أحداً يتحدث عن العلم وفصله جلس اليه وأصغى في سمته خافت ، وبين المساءلة يطعم الحديث بكلمة منه أو كلمات يرسلها في طريق المشاركة في البحث والرأي، قلّ ما يتكلم إلا والتأثير والايحاء يظهران مكانته العلمية، يبصر شاباً هادئ الطبع ، كثير السمته، وقاد الصمت بينما هو في جوانحه الداخلية ساحة حافلة بالمعرفة، مليئة بالحركة، أنشطة تؤجج، وأناشيد تصل، وأصوات تسبح. عندما شاهد الشيخان تلك الساحة وما فيها أدركا أن عناية الهية

ترعى الشيخ السالمي وإن له لساناً، شاهداً على حُبهِ للإسلام وأهله،
والذود عن حياضه، ليس فقط من كيد أعدائه، بل ومن خطأ علمائه.
عندما هاجر الى الشرقية من عمان «القابل» بلد الشيخ صالح بن علي
الحارثي - رحمه الله - زاره الشيخ سعيد بن محمد الكندي النخلي
فارتجل العلامة السالمي قوله:

ألا يا شيخنا الكندي أعندك مثل ما عندي
فرد عليه الشيخ الكندي ما عندك أيها الشيخ؟ فقال له:

وعندي للعلاهم تفوق النجم في البعد
هذا وإن القارئ لسيرته وأعماله ليدرك شأو تلك الهمم وأين بلغت؟
فحياته علم وعمل، وقيادة وريادة، وفقه وتحقيق، ونحو وتاريخ،
وصلاح واصلاح الى غير ذلك من أنواع البر.

ثالثاً - الشيخ العبري :

ومن العلماء الأخيار الذين تلقى على أيديهم العلم العلامة الزاهد ماجد
ابن خميس بن راشد العبري الحمراوي نسبة الى بلده «الحمراء»
ولد - رحمه الله - في شهر رجب عام ١٢٥٢ هـ وقيل عام ١٢٥٤ هـ
بقرية كدم ببلد الحمراء، فنشأ نشأته الأولى في حجر والده أبي الغبراء
خميس بن راشد بعيداً عن اللهو واللعب.^(١)

تربى في مدرسة والده على الإيمان والبر وحب الخير، والميل الى معالي
الأمر، تعلم القراءة والكتابة من الشيخ ناصر بن سالم العدوي، وأخذ
قسطاً من النحو ومبادئ التوحيد من والده.

وبعد أن توفي والده انتقل الى «الرستاق» وذلك أيام السيد الجليل
قيس بن عزان بن قيس بن عزان البوسعيدي لما عرف بين الناس من
رغبة هذا السيد في العلم حبه للعلماء، وتقريبه لهم وتشجيعه اياهم.
ولما توفي هذا السيد لازم ابنه السيد عزان بن قيس الذي عقد له بعد
بالامامة.

كان الإمام العبري من أكبر فقهاء عمان، فلقد نذر حياته جميعها من
أجل العلم، تعلماً وتديساً وقضاً وفتوى، وإلى جانب معارفه الفقهية
فهو شاعر مجيد، له قصائد غراء في الوعظ والحكمة.

له أجوبة على أسئلة نثرية ونظمية في مختلف العلوم. ويقال لو جمعت أجوبته النثرية لتكون منها أربعة مجلدات.

مما عرف به حرصه الشديد على اتباع العلماء المتقدمين. وكثيرا ما كان يغضب على علماء عصره المتأخرين، اذا رأى منهم فعلاً أو سمع لهم قولاً يخالف السلف رد عليه بجرأة لا تلين.

ويعتبر هذا الشيخ من كبار العلماء المحققين. تخرج عنه علماء كثيرون، فقد قرأ عليه إبان اقامته «بالرستاق» نور الدين السالمي، والشيخ العلامة ابراهيم بن سعيد العبري، والشيخ سعيد بن صالح العبري والشيخ علي بن هلال بن زاهر الهنائي، والشيخ سالم بن راشد العبري، والشيخ محمد بن سالم بن بدر العبري والشيخ ثابت بن سرور الغلابي وغيرهم كثير.

وتروى له كرامات جليلة:

- منها أن شعر لحيته غلب عليه السواد بعد موته ، شوهد ذلك في حال تغسيله وتجهيزه.

- ومنها حفظ الله سمعة وعقله ولسانه الى آخر العمر.

- ومنها عدم انقطاعه عن المسجد في مختلف الصلوات ولم يعجز عن شيء من عبادته وأوراده.

توفي - رحمه الله - في فجر اليوم الرابع والعشرين من شهر المحرم سنة ١٣٤٦ هـ والمسلمون عنه راضون.

ما أحسن الهجرة اذا كانت من أجل طلب العلم والعلّ من معينه، وفي القرآن الكريم ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا لعلهم يحذرون﴾^(١)

وفي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ : (ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة).

(١) نهضة الأعيان ص ٣٨٥

(١) سورة التوبة آية ١٢٢

المحور الثالث

هجرة علم وعمل هجرة من أجل العلم :

عندما سمع الإمام «السالمي» عن علو صيت الشيخ صالح بن علي الحارثي تأقت نفسه أن يلتقي به، وبالفعل هاجر - رحمه الله - الى بلد «القابل» وذلك سنة ألف وثلاثمائة وثمان سنين هجرية، ولقد عزم الشيخ الحارثي عليه أن يستوطن القابل، فامتثل لأمره، ولبث عنده معاضداً له يلتقط من فوائده، ويستخرج من فرائده، ويعتبر العلامة الحارثي أحد شيوخه الذين أخذ عنهم العلم.

وقال الشيخ محمد بن عبدالله السالمي - نجل نور الدين - في نهضته: «فكان الشيخ صالح أحد شيوخه، لقد أوتي حظاً وافراً وشهرة في العلم فضربت اليه أكباد الإبل، ووفد اليه الأخيار من سائر النواحي، ودرس في سائر فنون العلم، كالتفسير والحديث وأصول الفقه، وأصول الدين، والنحو والمعاني والبيان، والمنطق، ودام على ذلك الحال حتى توفي الشيخ صالح، ثم عاضد بعده الشيخ عيسى بن صالح وساعده على تدبير الكثير من الأمور .. وأبدى في ذلك من حسن السياسة وعلو الهمة كل عجيب».

كان لتنوع ثقافته وشمول معرفته، ما يبهز العقول، فهو الحبر الحاذق الفطن في كل شيء، في تفسير القرآن .. في مختلف العلوم التي أشرنا اليها، ومن ثم فقد كان مقصد الباحثين والمحققين، يأتيه الناس أفراداً وجماعات من مختلف بلدان عمان، ليسمعوا منه، وليتفقهوا عليه. كان - رحمه الله - الى جانب ذاكرته الوقادة يستمتع بذكاء نافذ، وفطنة بالغة، وهمة عالية.

كانت حجتة في الحديث والمناقشة كضوء الشمس وضوحاً، وهو في منطقته وحواره، لا يترك مناقشهُ مفعماً بالرضا والافتناع فحسب، بل ومفعماً بالغبطة من جمال النطق وروعته، وفطنة الحوار وأسلوبه.

تولى التدريس عن شيخه «الصالح» في مسجد الشيخ المشهور، فما ان سمع الناس بمقدمه الميمون، واقامته المباركة، إلا وأقبلوا عليه رجالاً وركبائاً آمين مدرسته، ناهلين من علمه، مرتشفين من فيضه، تارعين من نهره، مستمعين الى نفاذ حجته، ونصاعة برهانه، سنوات قلائل، فاذا بهذه المدرسة الإيمانية تخرج لنا طرازاً مثالياً في العلم والعمل، والاخلاص والصفاء، والصدق والوفاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن ياترى هذا الطراز المثالي؟.

تلاميذه :

قال العلامة الشيخ أبو اسحق^(١) اطفيش - رحمه الله - : «تلاميذه كثيرون ولانبالغ اذا قلنا ان رجال العلم اليوم بعمان - يعني في زمنه - كلهم من تلاميذه، وقد نبغ منهم كثير. وأضيف الى هذه العبارة .. حتى في زماننا هذا فغالب فقهاءنا من تلاميذ تلاميذه - رحمه الله - ثم قال أبو اسحق : وفي مقدمتهم العلامة الأفخم المؤيد امام عمان أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي الخروصي، بويع بالإمامة بعد وفاة شيخه».

قال « والعلماء من تلاميذه كثيرون، وحسبك أن صفوة الامامة هنالك - يعني في عمان - والذين قامت عليهم الإمامة والملك هم تلاميذه، وهذه الروح التي نفخها فيهم: حتى كانوا حمى للدين والأمة، من أكبر الشواهد على اخلاصه وعلو شأنه ومكانته - رحمه الله-»^(٢)

قال الشيخ محمد السالمي معلقاً على كلام الشيخ أبي اسحق: «وهي شهادة من عالم عامل»^(٣)

ومن مشاهير تلاميذه الامام العادل الزاهد الورع سالم بن راشد الخروصي فقد كان ملازماً له منذ صغره الى أن عقد عليه بالإمامة.

(١) أبو اسحق

(٢) نهضة الاعيان ص ١٠٤

(٣) نفس المرجع

- ومنهم الشيخ العلامة عيسى بن صالح الحارثي أحد العلماء الكبار في عمان له مواقف خالدة في نصرة الحق، وله أجوبة فقهية هامة جمعها ورتبها العالم الفقيه الشيخ سالم بن حمد الحارثي في مجلدين تحت عنوان: «خلاصة الوسائل في تحرير المسائل».

- ومنهم العلامة الدراكة رئيس القضاء والفتوى - في عمان آنذاك - أبو مالك عامر بن خميس بن مسعود المالكي كان معاضداً لشيخه في حلو الزمان ومره، له مؤلفات قيمة، وفتاوى عديدة في مختلف فنون العلم والمعرفة..

- ومنهم العلامة الزاهد عالم الاقتصاد عبدالله بن محمد بن رزيق الريامي الأزكوي يكنى أبا زيد، من الكتبة الماهرين حيث كان يكتب مسودات التأليف لشيخه. ولهذا الشيخ جهود علمية وعملية مباركة، لو لم يكن إلا اهتمامه الكبير ببيت مال المسلمين، وتنميته، الى جانب اهتماماته بأوقاف المسلمين الأخرى واصلاح أموالها.

ومنهم العلامة الشيخ أبو عبيد حمد بن عبيد السليمي السمائي. وهو من أجل علماء عمان وهبَ علماً جماً وذكاء وقادراً وتولى القضاء، في عهد الإمامين سالم بن راشد الخروصي ومحمد بن عبد الله الخليلي وتولى التدريس بمسجد الخور بمسقط في عهد السلطان سعيد بن تيمور آل سعيد. ومنهم الشيخ العلامة سيف بن حمد بن شيخان الأغبري، وهبه الله علماً وحفظاً، تولى القضاء ورئاسته في عدة محاكم شرعية.

ومنهم الشيخ العلامة سعيد بن حمد الراشدي، كان مسارعاً للخيرات معروفاً بالسكينة والوقار ، تاركاً لحظوظ النفس، ومتصفاً بالكمالات الإنسانية، مثابراً في تحصيل العلم النافع، له مؤلفات قيمة، ومواقف خالدة.

ومنهم الشيخ العالم الزاهد سالم بن حمد البراشدي، كان ولياً تقياً تقلد القضاء على بلدة سناو وما حولها.

ونحن لايعيننا في هذا البحث أن نذكر جميع تلاميذه، فعددهم لا يحصى، وانما جل همنا أن نشير الى أن الإمام «السالي» حياته مباركة مليئة بالعلم ونشره، وتثقيف أبناء مجتمعه، ونظراً لاختلاصه في عمله لله خالقه، صحبته عناية ربه، فأخرجت مدرسته صوراً علمية مشرقة، تتجلى فيمن ذكرناهم ومن لم نذكرهم من تلامذته الأساطين الذين كان يقوم الواحد منهم مقام أمة.

وبفضل هذا الرعيل من العلماء العاملين، انتشرت المدارس الفقهية في مختلف مدن عمان الكبرى، وانتشر التأليف، وعمت الدعوة الإسلامية أرجاء عمان، حيث شاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقضي على الفساد والمفسدين والحمد لله.

قال مؤلف كتاب «نهضة الأعيان» : « هؤلاء مشاهير تلامذته والذين تحت طبقتهم كثير، بل لاتجد عمانياً له أدنى مسكة من العلم الا وقد اغترف من ذلك البحر، والتقط من ذلك الدر بحسب ما قسم له الواهب من المواهب^(١)»

قال العلامة عز الدين التنوخي^(٢) : «وما في اليوم من علماء الا وهم تلاميذه، ولا فيها من روح مقاومة المستعمرين الا منه، فهو مضمّن نارها، وملهب أوارها»^(٣)

(١) نهضة الأعيان ص ١٠٦ - ١٠٧

(٢) عز الدين التنوخي من كبار علماء ومؤرخي سوريا

(٣) شرح الجامع الصحيح الجزء ٣ - المقدمة ص ط

المحور الرابع

مؤلفاته وأهميتها فقهاً وتحقيقاً :

إن الإنسان ليعجب كيف استطاع أن يؤلف تلك المؤلفات النفيسة في عمره القصير الذي لم يبلغ الخمسين، ومن تلك المؤلفات الجلية ما يلي:
أولاً - أنوار العقول :

أرجوزة في أصول الدين، من أهم الأراجيز الفقهية التي لا يتغنى عنها طالب علم.

ثانياً - «بهجة الأنوار» :

وهو عبارة عن شرح مختصر لهذه الأرجوزة، طبع بهامش الجزء الأول من كتاب «طلعة الشمس».

ثالثاً - «مشارق أنوار العقول» :

شرح مطول لتلك الأرجوزة من أحسن كتب الأصول العقدية تحقيقاً وتحريراً وصياغة، قال القطب محمد بن يوسف - رحمه الله - لما اطلع على هذا الكتاب مشيداً به وبمؤلفه: «لقد أمعن صاحب المشارق».

رابعاً - «غاية المراد» :

أرجوزة في نظم الاعتقاد، قام بشرحها وتحقيقها الشيخ العلامة، سليمان بن محمد الكندي شرحاً جامعاً مفيداً

خامساً - «شمس الأنوار» :

ألفية في أصول الفقه، وقد شرحها - يرحمه الله - شرحاً نفيساً ، تعتبر من أهم كتبه في أصول الفقه.

إن القارئ المتأمل في أبواب ومسائل هذا الكتاب، ليدرك مكانة مؤلفه العلمية تحقيقاً وتوضيحاً .

سادساً - «شرح الجامع الصحيح ، مسند الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري» من أئمة الحديث المشهورين عاش في أوائل القرن الثاني الهجري .

وهذا الشرح الجامع الشامل يقع في ثلاثة أجزاء مطبوعة جميعها ومتداولة، ويعتبر هذا الشرح من الكتب المشتملة على أحاديث قام المؤلف بتحقيقها وتخريجها، ولتفنيد الحديث الصحيح من الضعيف، وأقوال المحدثين ومناقشة آرائهم.

سابعاً - «مدارج الكمال نظم مختصر الخصال» :

وهو عبارة عن نظم لكتاب «مختصر الخصال» لمؤلفه الإمام أبي اسحاق ابراهيم بن قيس الحضرمي أحد علماء الإباضية باليمن^(١) ويعتبر أبو اسحاق من الشخصيات القيادية والأساطين الفكرية في «حضر موت» في القرن الخامس الهجري.

لقد نظم الإمام السالمي ذلك الكتاب نظراً لأهميته الفقهية وتبسيطه لطلبة العلم، ويعتبر من الكتب الفقهية الهامة، تنيف على ألفي بيت.

ثامناً - «كتاب معارج الآمال» :

شرح نظمه «مختصر الخصال» وجاء ذلكم الشرح في أسلوب بديع، يتناول معاني الأبيات في أول شرحها، ثم يثني بالمسائل المتعلقة بالموضوع نفسه من الأثر، ويعرضها بالأدلة تحقيقاً وتوضيحاً، ثم يذكر فروع المسألة ويردها إلى أصولها، ثم يضيف إلى ذلك على ما يقتضيه المقام من الفوائد، ويرد إليها ما كان من تلك القواعد بعبارات جزلة، حتى أن المسألة بعد تبينها وتدليلها تصلح أن تكون في بحث مستقل لو أفردت، وجمائل هذا الكتاب ومحاسنه لا يعرفها حق المعرفة ولا يقدرها حق قدرها إلا من وقف عليها. لقد اكتمل من أجزاء هذا الكتاب ثمانية مجلدات ضخمة، على أمل منه - يرحمه الله - أن يكمله في أكثر من عشرين مجلداً، ولكن الأجل المحتوم حال بينه وبين اكتماله فكان آخر شرح له «كتاب الصوم والاعتكاف» .

(١) أبو اسحاق الحضرمي مستنجد بالإمام الخليل بن شاذان بن الصلت الخروصي (راجع صفحة الإعيان ص ١٢٠)

تاسعا - «جواهر النظام :

أرجوزة في الأديان والأحكام والأخلاق والحكم، تزيد على أربعة عشر ألف بيت، يتكون من أربعة أجزاء، وأعتقد أن شهرة هذا الكتاب الجامع تغني عن التعريف به، وقد لا يخلو بيت عماني الا وهذا الكتاب موجود فيه، وهو مشهور بين جميع الناس عالمهم وجاهلهم، نذكهم وبليدهم. وهذا الكتاب رغم اختصاره لكثير من المسائل الا أن فيه الكثير مما شمله المؤلف بتحقيقاته وترجيحاته، مما يدلنا على أهمية هذا الكتاب تحقيقاً وتيسيراً للقضايا المختلفة التي لها صلة بحياة الإنسان العقدي والعبادية الى غير ذلك من مسائل الأحكام.

عاشرا - «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان» :

ويضم هذا الكتاب بين صفحاته أحوال أهل عمان منذ انتقال العرب إليها الى عهد الإمام الزاهد سالم بن راشد الخروصي - رحمه الله - ، ويتكون من جزئين نفيسين.

وهذا الكتاب - بحق - يعتبر من أهم المصادر التاريخية عند العمانيين. لقد اهتم فيه المؤلف بتدوين وتسجيل نشاط الإمام وشروطها وعهودها ومنهجها في الحكم ومكانة الأئمة بين الناس.

والخلاصة :

إن هذا الكتاب التاريخي الزاخر قد غطى جوانب مهمة من تاريخ عمان. كالجانب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، والفكري والثقافي. الحادي عشر - «الفتاوى» : عن قضايا عمانية وغيرها في مختلف العلوم ، وقد بلغت هذه الفتاوى سبعة أجزاء، حسب ما ذكر ولده أبو بشير في نهضته وقال : إلا أن الجزء الثامن لم يكتمل، ومجموع هذه الفتاوى مسائل متناثرة في مواضيع مختلفة غير مرتبة.

ومن بينها كتاب «حل المشكلات» وهو الرابع من تلك الأجزاء، تشتمل أجوبة هذا الجزء حلول ما شكل من مسائل مختلفة على تلميذه أبي زيد عبدالله بن محمد الريامي فعرضها على شيخه فأجاب بما يروي الظمان ويشفي العليل.

ومما يجب أن أنوه به وأنبه عليه أنه من الخطأ المحض أن ينسب هذا الجزء على الشيخ أبي زيد ويعد من أجوبته.

والصحيح كما بينته أن المسائل الواردة فيه هي ما أشكل على العلامة أبي زيد وأجاب عليها شيخه النور السالمي - رحمهما الله تعالى - .

الثاني عشر - «المنهل الصافي في العروض والقوافي» :

وهي عبارة عن أرجوزة رائعة تزيد على ثلاثمائة بيت، قام - رحمه الله - بشرحها شرحاً مختصراً موضوعياً.

الثالث عشر - «بلوغ الأمل في شرح الجمل» وعليه شرح يجمع التحقيق والاختصار.

الرابع عشر - «شرحه على العمريطية» :

وهو شرح أرجوزة يحيى العمريطي. وهذا الشرح لا يقل أهمية عما ذكرنا من شروحه القيمة لما يجمع بين صفحاته من إيجاز محكم وجهد متقن.

الخامس عشر - «الحجج المقنعة في أحكام صلاة الجمعة» :

وهذا الكتاب أورد فيه ما قاله الفقهاء من حجج في مشروعية صلاة الجمعة وشروطها ومتى تحب وأين تجب وأحكام المص.

السادس عشر - «اللمعة المرضية في أشعة الأباضية» :

«رسالة الحق الجليّ في سيرة الشيخ صالح بن علي» بين فيها مكانة ذلك العلم بين أقرانه ومنزلته بين نظرائه.

السابع عشر - ردّ في هذا الكتاب على أولئك الذين انجرفت أقلامهم في القدح والإفتراء على «الأباضية» عندما كتبوا في الفرق الإسلامية، قالوا: أن الفرق الأباضية لم يكن لها وجود إلا بعد أن تكونت المذاهب الأربعة، وأنهم لا يوجد لهم من قبل أي مؤلف يذكر. فالمؤلف - يرحمه الله - أبدى

في هذا الكتاب ردّه المنطقي المقرون بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة، على أصحاب تلك الأقلام. مظهرأ للقراء أن الأباضية وجدوا قبل المذاهب الأخرى، كما أن مؤلفات كثيرة ظهرت في المكتبات الموجودة آنذاك.

ويكفي أن كتاب : الجامع الصحيح» للإمام الربيع بن حبيب من أوائل المؤلفات في الحديث، حيث ظهر هذا المؤلف قبل ظهور «موطأ الإمام مالك» والبخاري ومسلم.

الثامن عشر- «رسالة بذل المجهود في مخالفة النصارى واليهود» : حذّر في هذا الكتاب القيم من التشبه بالمشرّكين من أهل الكتاب وتقليدهم وبين فيه ضرراً من دسائس العدو التي من شأنها القضاء على المبادئ والمثل العليا، وتذويب الشخصية الإسلامية، وصهرها في مستنقعات الكفر والضلال.

التاسع عشر - «رسالة الحجة الواضحة في الرد على التلفيقات الفاضحة» :

ردّ فيها على الذي ادعى العلم وهو لم يبلغه، وتعاطى منزلة الاجتهاد من أهل زمانه وهو لم يهيأ لها.

ولعلمنا الجليل مؤلفات ورسائل أخرى، اضافة الى ديوان شعر في منتهى البلاغة والرقّة، فيه من القصائد ما يلهب المشاعر، ويرهف الأحاسيس ويوقظ الضمائر.

قال العلامة عز الدين التنوخي في وصف العلامة السالمي : « فمن الحق أن نلم من ترجمته بما يصور حقيقته، ويبين منزلته بين العلماء المحققين .. ثم قال: انتهت اليه رئاسة العلم بعمان، وظهر ذلك في تأليفه الجمة في مختلف الفنون الفرعية والعربية مع التحقيق في مسائلها والإجادة في تأليف كتبها ورسائلها.

المحور الخامس

- مسألة وتحقيق السالمي في ذمة الله :

مسألة وتحقيق:

جرى خلاف فقهي بين الإمام النور السالمي وشيخه العلامة ماجد بن خميس العبري - رحمهما الله تعالى - .

وهذه المسألة في أوقاف القبور، وملخصها رأى الإمام السالمي ما أحدثه الناس من بدعة الوصية للقراءة على القبور، وتهافت رعا ع الناس على هذا الأمر المحجور بنص الخبر المشهور، فصارت القبور معمورة، والمساجد مهجورة خلاف أمر الله ورسوله.

فحكم «نور الدين» أن الوصية بذلك باطلة من أصلها ، ومرجع كل الأموال لورثة الموصي، ان وجدوا وإلا وهم مجهولون يتعذر الوقوف عليهم، ففضى أن المجهول لبيت المال على أشهر مافيه من الأقوال.

ولقد أمر - رحمه الله - الإمام سالم بن راشد الخروصي بامضاء ذلك الحكم وانفاذه ، اذا لاينفع قول بحق لا نفاذ له، فأمضاه الإمام، وأدخل تلك الأموال العتيقة في بيت مال المسلمين، لعز دولتهم، فشرع في بيع بعضها في حاجة الدولة.

فلما بلغ ذلك الصنيع شيخه العبري كتب الى الشيخ العلامة السالمي بانكار ذلك الحكم قائلاً:

انه لايجوز تبديل الأوقاف عن سنتها، التي جعلت لها، فأجابه نور الدين بالحجج المقتضية لبطلان تلك الأوقاف المؤسسة على غير ماكان عليه هدي رسول الله ﷺ (١) محتجاً بأن قراءة القرآن الكريم على القبور بدعة لادليل لها من الكتاب ولا من السنة المطهرة، وأن النبي ﷺ زار قبور بعض أصحابه، ولم يرد عنه انه قرأ معها قرآنا ولا أمر بذلك، وانه

(١) نهضة الأعيان ص ٣٨٨

قال: «خير القبور دوارسها» وقال : «لاتجعلوا قبري وثناً يعبد» وقال : «لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» الى غير ذلك من الاحاديث النبوية الدالة على منع ذلك.

ومنها تعظيم القبور، وأن الإيضاء لها نوع من تعظيمها، وذلك مناف ومخالف لهديه ﷺ، ومجانِب لأمره، وفي الحديث الصحيح «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

ولقد رد الشيخ ماجد بقوله : «إني أسلم لكم أن القراءة على القبر لاتصلح فما المانع من أن تكون في مسجد من المساجد. التي هي موضع للعبادة، وبامكان القارئ أن ينوي بها بالأجرة القراءة عن الميت الذي أوصي له بها، وعن الموصي بها فيأخذ الأجرة حيث لا محذور مما قلتم. أجاب السالمي على ذلك بقوله: « إن القراءة بالأجر مختلف فيها ، فبعضهم منع أخذ أجر عليها لانها عبادة، بعض الفقهاء أجازها، ونحن نأخذ بقول المانعين ونحكم به».

فرد الشيخ العبري بقوله : «أنا أسلم ثبوت الخلاف بين العلماء في جواز أخذ الأجرة على قراءة القرآن وتعليمه، ولكن الموصي أخذ في ذلك بقول المجيزين، والأوصياء والورثة أنفذوا تلك الوصايا ، وأخرجوها من أموالهم، عملاً بقول المجيزين، والعامل بقول لايعنف ولا يرد فعله، فكما وسع المختلفين بالرأي في ذلك ، فكذلك يسع العاملين بشيء من أقوالهم.

فأجاب النور السالمي: ان أصل الإيضاء بذلك والانفاذ له من الورثة والأوصياء لايكون حجة تقطع الخلاف وتمنع رد الفعل لانه فعل جاهل ولايكون قطع الخلاف في مسائل الاختلاف الا من امام عادل فيصير حكمه في المختلف فيه كالجمع عليه، فلا يجوز نقضه لأحد من بعده في ذلك، أو ممن يثبت حكمه في المختلف فيه من سائر الحكام والعلماء الأعلام.

أما الجاهل فلا عبرة به، ولذلك لاتجد اماماً ولا عالماً أوصى أن يزار قبره أو يتلى معه القرآن، فهي باقية الى هذا الأوان غير محكوم فيها بشيء نعلمه ممن سبقنا من الأئمة، ولا هداة الأمة، فقد حكمنا نحن الآن ببطلان هذه

الوصايا كلها، سواء كان الموصي معلوماً أو مجهولاً، ولكن المعلوم اذا كان ورثته معلومين فالموصي به للزيارة يرجع اليهم ميراثاً على ما بينهم من السهام، والمجهول يرجع لبيت المال على أصح الأقوال.

فاستمر نور السالمي على اثبات حكمه، والشيخ ماجد على اعتراضه، وطالت بينهما المراجعة والرد في ذلك، ثم استمر الشيخ ماجد في الاحتجاج على الامام سالم بن راشد الخروصي ويخوفه في قبول هذا الحكم ويغلظ عليه المقال حتى ظن الناس انه قطع بذلك عذر نور الدين السالمي، وانه لم ير هذه من مسائل الاجتهاد، ولا مما يسوغ فيه الرأي ... ولم يلبث السالمي بعدما رأى تشديد الشيخ ماجد على الامام الخروصي، حتى جاء قاصداً بنفسه اليه ببلد «الحمراء» ليبين له الحق أو يتبينه منه» (١)

مايستفاد من هذه المسألة :

- الإمام نور الدين السالمي ظهر لنا من خلال تحقيقه لهذه المسألة وغيرها من المسائل انه من كبار علماء التحقيق والبحث والتنقيب.

- اهتماماته بتغيير ما قد يصبح في يوم من الأيام كأنه سنة متبعة، وهي بدعة منكرة.

- تحرزه مما يؤدي الى الاختلاف والى تفرقة كلمة المسلمين.

- تواضعه المعروف وخلقه الرفيع يظهر من تقديره لشيخه عندما جاء قاصداً اليه للاجتماع به.

السالمي في ذمة الله:

لقد كان النور السالمي حريصاً في كل بحوثه ومناقشته أن يقنع مناظريه وباحثيه خصوصاً اذا كان المناظر أو الباحث له من كبار العلماء.

ان مسألة أوقاف القبور أخذت من الشيخ جهداً مضنياً حيث أنه أصر على نفسه أن يذهب لزيارة شيخه العبري من أجل اقناعه مشافهة - كما بينا ذلك سابقاً -.

(١) نهضة الأعيان ص ٣٣٨ - ٣٣٩

فالنور السالمي توجه من أجل اللقاء بشيخه في بلد «الحمراء فكان من قضاء الله وقدره انه لما وصل ومن معه من الوجهاء الى قرية تسمى «قرية بني صبح» من أعمال ولاية الحمراء، وكانت الشمس تدنو من غروبها هموا على المبيت بتلك القرية، فتوجهوا الى محلة معينة منها ، واذا بشيخنا ممتط راحلته فصدعه غصن شجرة مائل على الطريق وهو لم يبصره لكونه ضريباً ولم ينبهه أصحابه لأمر أراده الحق سبحانه وجل في علاه فألقاه من راحلته الى الأرض واهي القوى، ولبث مريضاً الى اليوم السادس والعشرين من صفر عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية مشلول الحركة.

وكان سفره الى بلدة «الحمراء» في اليوم الثامن عشر من شهر صفر في السنة المذكورة.

وعلى الرغم من هذا المرض العضال الذي سببه سقوطه من الراحلة الا أن الشيخ ماجد كان يراجع ويحاوره ويناقشه.

وكان الشيخ السالمي لرحابة صدره المعروفة لا يألو جهداً في الجواب لكن من حضر من التلامذة والوجهاء ارتأوا تأجيل الخوض في مسألة أوقاف القبور رجاء عافيته ثم يتباحثان فيما بعد فيما اختلفا فيه فأجابهم اني أخشى المعالجة قبل أن يفهم الشيخ العبري ما عندي فافترقا على ما يلي:

- أن الشيخ ماجد رجع عن تخطئته.

- ان هذه المسألة من مسائل الإجتهد.

لقد طلب الشيخ نور الدين من مرافقيه أن يحملوه الى نزوى» فأمر الشيخ حمير بن ناصر النبهاني أن يحمل على الأكتاف الى «تنوف» بلد قريبة من نزوى» وشق عليه الخروج منها.

قدم الإمام سالم لعيادته ليلة التاسع والعشرين من الشهر المذكور وكان - رحمه الله - تلك الليلة أخف مرضاً، فعاد الإمام الى «نزوى» مسروراً بعافية شيخه، ثم تضاعف المرض حتى انتقل الى جوار ربه ليلة الخامس عشر من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة بعد ما ترك للأمة رصيда نفيساً من أمهات الكتب، وتوجه روحياً أنار به القلوب.

ولقد وري جثمانه ببلدة «تنوف» ، أنفة الذكر بعدما صلى عليه تلميذه العلامة أبو زيد عبدالله بن محمد بن رزيق الريامي. وقبره معروف يقع على سفح جبل من تلك القرية»^(١)

خاتمة :

- نخلص من تلك المحاور الخمسة الى النتائج التالية:
- العلامة السالمي صاحب فهم خارق ، وحفظ نادر، وموهبة عظمى وبصيرة ثابتة.
 - بدأ التأليف وعمره لايتجاوز السنة السابعة عشرة وهذا دليل ندرته في الحفظ والفهم.
 - كان فقيهاً ملهماً، تدلنا على ذلك مؤلفاته الفقهية الزاخرة كـ «كتاب معارج الأمال شرح مختصر الخصال» و «جوهر النظام» و «طلعة الشمس» في أصول الفقه وغيرها مما ذكرناه من مؤلفات فقهيه في المحور الرابع.
 - الى جانب كونه فقيهاً فهو أيضاً من كبار علماء التحقيق، وخير دليل على ذلك، كتابه «معارج الأمال» الذي أوسع مسأله بحثاً وتحقيقاً وتديلاً.
 - العلامة السالمي لغوي وشاعر ملهم، تدلنا على ذلك مؤلفاته اللغوية وقصائده الشعرية.
 - له باع طويل في علم الحديث والمصطلح، وأقوى برهان على صحة ذلك شرحه «للجامع الصحيح لمسند الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي رحمه الله.
 - زهده وفضله لايشق لهما غبار، فهو في الزهد ندرة أهل زمانه، وهو في الفضل سيد أقرانه.
 - الى جانب علمه الفياض نجد عمله الجاد في اصلاح مجتمعه وتطهيره من الزيف والانحراف.
 - هو الداعية المثالي، وهو العالم الرباني، وهو الحجة في القول والعمل.
 - عمره لايتجاوز الثامنة والأربعين وهو رجل ضريح، وفي هذه السنوات

(١) المرجع السابق بتصرف ص ١١٢

المعدودة ترك للأمة العديد من المؤلفات، التي يحار العقل كيف استطاع في هذا الظرف القصير أن يؤلف تلك الكتب العظام لولا عناية خاصة من الله ترعاه.

- كان محبوباً معظماً عند الناس جميعهم، اليه انتهت رئاسة العلم في عمان. وبالجملة فان النور السالمي قضى حياته في أخذ العلم وتعليمه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإصلاح المجتمع. وبهذه النتائج أستمح القارئ الكريم عذراً أن أرفع القلم عن هذا البحث المتواضع راجياً من الله عز وجل أن أكون قد وفقت فيما طلب مني، ومن الله أستمد الأجر والثوبة، وأسأله سبحانه أن يكافئ بالخير العميم والرحمة الواسعة شيخنا النور السالمي وأن يسكنه فسيح جناته جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع :

- ١ - نهضة الأعيان، بحرية عمان، للشيخ محمد بن عبد الله السالمي.
- ٢ - تحفة الأعيان الجزء الأول والثاني للعلامة نور الدين السالمي.
- ٣ - مقدمة الجزء الثالث من شرح الجامع الصحيح للشيخ عزالدين التنوخي.
- ٤ - مقدمة «جواهر النظام» للعلامة أبي اسحاق ابراهيم اطفيش.
- ٥ - معارج الآمال شرح مدارج الكمال ، للعلامة نور الدين السالمي.
- ٦ - مشارق أنوار العقول ، للعلامة نور الدين السالمي.
- ٧ - مقتطفات من مقالات مختلفة.

جهود السالمي في خدمة الأدب في عُمان

د. أحمد درويش

منذ نحو قرن وربع من الزمان كان ميلاد الشيخ العلامة نور الدين ابن محمد بن عبدالله حمد حميد السالمي، وخلال نصف قرن أو أقل عاشه هذا العالم الجليل بين عامي ١٢٨٨ - ١٣٣٢ هـ الموافق لعامي ١٨٦٥ - ١٩١٤ م. قدر له أن يلعب دوراً هاماً في تاريخ عمان فكراً وسلوكاً وأن يحتل مكانة بين زعماء الإصلاح في العالم العربي والإسلامي في هذه الفترة الدقيقة.

والواقع ان هذه الفترة التي مر بها العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والرابع الأول من القرن العشرين، شهدت ظهور طائفة من علماء الدين المستنيرين، الذين لم تقف اهتماماتهم عند تطوير مناهج البحث ومذاهب التفكير على أهميتها، وانما تجاوزتها الى الاستعانة بالروح المستمدة من الفهم الناضج للدين، في ايقاظ الشعوب ودفع عجلتها الى الأمام والوقوف بها في وجه التيارات التي تدعوها الى الخمول أو الإستسلام أو الفرقة أو التناحر.

وليس مصادفة أن يتتابع ظهور هذه الطائفة من العلماء في أزمنة متقاربة وفي أماكن متباعدة من العالم الإسلامي، يجمعهم وحدة الخطر، ويستعينون أحياناً على دفعه بتشابك الأيدي وتمحيص الآراء، ويكتفون أحياناً بالتقاء هتافات الروح الجريئة، وقد نجد بين أيدينا أحياناً وثائق على تحقق هذه اللقاءات، وقد تنعدم أو تنظمر هذه الوثائق فلا نحس الا أصداءها ولا نتلمس الا نتائجها.

هل من المصادفة أن يكون ميلاد جمال الدين الأفغاني عام ١٢٥٤ هـ/ ١٨٣٨ م وأن يكون مولد الشيخ محمد عبده عام ١٢٦٥ هـ/ ١٨٤٩ م

ومولد الشيخ نور الدين السالمي عام ١٢٨٨هـ/ حوالي ١٨٦٥م، بفوارق
 زمنية لاتزيد على العقد والعقدين بين كل منهم والآخر، وأن يكون العقد
 الأخير من القرن التاسع عشر، فترة ازدهار في أفكار هؤلاء العلماء ومن
 شايعهم في محاولة لإرساء النهضة في عالم اسلامي كان يحس بوحدة
 الخطر قوية في هذه الأحيان، وقد لاتكون لدينا وثائق قوية حول
 الاتصال بين الشيخ السالمي وكل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده
 أو السيد رشيد رضا، الذين تجمعت لدينا وثائق كثيرة عن ظروف
 لقاءاتهم وحصادها، ولكن إشارة تتردد في الحديث عن تاريخ حياة
 الشيخ السالمي، كتبها ابنه أبو بشير محمد شيبه. في كتابه «نهضة
 الأعيان بحرية عمان» تؤكد امكانية وجود الصلة، حيث يقول أبو بشير:
 «وكانت بينه وبين علماء المغرب وبعض علماء مصر مراسلات
 ومواصلات وأبحاث حسنة»^(١) ومعلوم أن جانباً كبيراً من نشاط
 الأفغاني ومحمد عبده كان يتركز في مصر في نهايات القرن التاسع عشر
 حتى وفاة الأفغاني سنة ١٨٩٧م ثم امتد حتى وفاة محمد عبده ١٩٠٥م،
 وظلت الشعلة يحملها تلميذه الشيخ رشيد رضا الذي توفي عام ١٩٣٥م،
 وتلك كلها تواريخ ذات دلالة في حياة الشيخ السالمي الذي توفي عام
 ١٩١٤م عن تسعة وأربعين عاماً، أي انه كان في الأربعين عند وفاة
 الشيخ محمد عبده وفي الثانية والثلاثين عند وفاة السيد جمال الدين
 الأفغاني، وإذا أضفنا الى هذا التوافق الزمني، شدة اهتمامه بأحوال الأمة
 الإسلامية كما يقول انه: «كان مشغول البال بأتمته، يفرح بما ينفعها
 ويحزن لما يضرها، وانه ليكتئب اذا أصيب أحد من الأمة بحدث ولو
 بالصين»^(٢) ، اذا أضفنا هذه العناصر بعضها الى بعض التوافق الزمني
 بينه وبين زعماء الإصلاح؛ الأفغاني ومحمد عبده، والمراسلات بينه وبين

(١) نهضة الأعيان ، بحرية عمان ، تأليف ابو بشير محمد شيبه بن نور الدين بن عبد الله بن
 حميد السالمي، مكتبة العلوم - مسقط - د.ت ص ١٢٢

(٢) المرجع السابق ص ١١٩

بعض علماء مصر، وشدة اهتمامه بأحوال الأمة الإسلامية في مختلف الأرجاء، أمكننا أن نطمئن الى وجود لون من الصلة الروحية بين العالم المصلح العماني وجيل المصلحين من العلماء المعاصرين له في أرجاء العالم الإسلامي، أفغانستان ومصر، وتركيا، والمغرب والجزائر، وإذا كانت المصادر قد تحدثت عن مراسلاته مع بعض العلماء والزعماء مثل الإمام القطب محمد بن اطفيش، وسليمان باشا الباروني تفصيلاً فإنها أجملت ألوان العلاقات الأخرى المحتملة كما أشرنا.

وتساعدنا بعض هذه المراسلات التفصيلية حول علاقات السالمي ببعض زعماء وعلماء الأمة الإسلامية، على تصور المكانة التي كان يحظى بها لديهم، وهي مكانة تعكس بدورها القدر الذي كان يوليه هو من الإهتمام بمشاكل الأمة الفكرية والسياسية، فهاهي رسالة سليمان باشا الباروني الى الشيخ السالمي، تطرح عليه تساؤلات تتعلق بمجمل أحوال المسلمين وسبب فرقتهم، وتأثير تعدد مذاهبهم على هذه الفرقة وامكانية تضيق الفجوات بينهم والسبل التي يقترحها الشيخ للوصول الى هذه الغاية اذا كانت ممكنة^(١) والواقع ان اجابات الشيخ على الأسئلة التي تتضمنها الرسالة تبين أن فكره يتجه الى الأمة في مجملها، وأنه لا يحصره في طائفة دون أخرى، وذلك كله يؤكد انتماءه الى طبقة زعماء الإصلاح من العلماء المسلمين التي عرفها العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين.

ولاشك أن هناك أسبابا موضوعية جعلت من هذه الفترة بالذات موطناً ملائماً لظهور طائفة المصلحين الدينيين السياسيين في العالم الإسلامي على اختلاف مواقعهم، فلقد كانت موجة المد الاستعماري التي بدأت منذ القرن الخامس عشر الميلادي، تلتف حول العالم الإسلامي من جوانب عدة وكانت عمان واحدة من الثغور الإسلامية التي لمست عن

(١) انظر في الرسالة والرد عليها في «نهضة الأعيان» ص ١٢٢ وما بعدها.

ومولد الشيخ نور الدين السالمي عام ١٢٨٨هـ/حوالي ١٨٦٥م، بفوارق
 زمنية لاتزيد على العقد والعقدين بين كل منهم والآخر، وأن يكون العقد
 الأخير من القرن التاسع عشر، فترة ازدهار في أفكار هؤلاء العلماء ومن
 شايهم في محاولة لإرساء النهضة في عالم اسلامي كان يحس بوحدة
 الخطر قوية في هذه الأحيان، وقد لاتكون لدينا وثائق قوية حول
 الاتصال بين الشيخ السالمي وكل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده
 أو السيد رشيد رضا، الذين تجمعت لدينا وثائق كثيرة عن ظروف
 لقاءاتهم وحصادها، ولكن إشارة تتردد في الحديث عن تاريخ حياة
 الشيخ السالمي، كتبها ابنه أبو بشير محمد شيبه. في كتابه «نهضة
 الأعيان بحرية عمان» تؤكد امكانية وجود الصلة، حيث يقول أبو بشير:
 «وكانت بينه وبين علماء المغرب وبعض علماء مصر مراسلات
 ومواصلات وأبحاث حسنة» ^(١) ومعلوم أن جانباً كبيراً من نشاط
 الأفغاني ومحمد عبده كان يتركز في مصر في نهايات القرن التاسع عشر
 حتى وفاة الأفغاني سنة ١٨٩٧م ثم امتد حتى وفاة محمد عبده ١٩٠٥م،
 وظلت الشعلة يحملها تلميذه الشيخ رشيد رضا الذي توفي عام ١٩٣٥م،
 وتلك كلها تواريخ ذات دلالة في حياة الشيخ السالمي الذي توفي عام
 ١٩١٤م عن تسعة وأربعين عاماً، أي انه كان في الأربعين عند وفاة
 الشيخ محمد عبده وفي الثانية والثلاثين عند وفاة السيد جمال الدين
 الأفغاني، وإذا أضفنا الى هذا التوافق الزمني، شدة اهتمامه بأحوال الأمة
 الإسلامية كما يقول انه: «كان مشغول البال بأتمته، يفرح بما ينفعها
 ويحزن لما يضرها، وانه ليكتتب اذا أصيب أحد من الأمة بحدث ولو
 بالصين» ^(٢) ، اذا أضفنا هذه العناصر بعضها الى بعض التوافق الزمني
 بينه وبين زعماء الإصلاح؛ الأفغاني ومحمد عبده، والمراسلات بينه وبين

(١) نهضة الأعيان، بحرية عمان، تأليف ابو بشير محمد شيبه بن نور الدين بن عبد الله بن

حميد السالمي، مكتبة العلوم - مسقط - د.ت ص ١٢٢

(٢) المرجع السابق ص ١١٩

بعض علماء مصر، وشدة اهتمامه بأحوال الأمة الإسلامية في مختلف الأرجاء، أمكننا أن نطمئن الى وجود لون من الصلة الروحية بين العالم المصلح العماني وجيل المصلحين من العلماء المعاصرين له في أرجاء العالم الإسلامي، أفغانستان ومصر، وتركيا، والمغرب والجزائر، وإذا كانت المصادر قد تحدثت عن مراسلاته مع بعض العلماء والزعماء مثل الإمام القطب محمد بن اطفيش، وسليمان باشا الباروني تفصيلاً فإنها أجملت ألوان العلاقات الأخرى المحتملة كما أشرنا.

وتساعدنا بعض هذه المراسلات التفصيلية حول علاقات السالمي ببعض زعماء وعلماء الأمة الإسلامية، على تصور المكانة التي كان يحظى بها لديهم، وهي مكانة تعكس بدورها القدر الذي كان يوليه هو من الإهتمام بمشاكل الأمة الفكرية والسياسية، فهاهي رسالة سليمان باشا الباروني الى الشيخ السالمي، تطرح عليه تساؤلات تتعلق بمجمل أحوال المسلمين وسبب فرقتهم، وتأثير تعدد مذاهبهم على هذه الفرقة وامكانية تضيق الفجوات بينهم والسبل التي يقترحها الشيخ للوصول الى هذه الغاية اذا كانت ممكنة^(١) والواقع ان اجابات الشيخ على الأسئلة التي تتضمنها الرسالة تبين أن فكره يتجه الى الأمة في مجملها، وأنه لا يحصره في طائفة دون أخرى، وذلك كله يؤكد انتماءه الى طبقة زعماء الإصلاح من العلماء المسلمين التي عرفها العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين.

ولاشك أن هناك أسبابا موضوعية جعلت من هذه الفترة بالذات موطناً ملائماً لظهور طائفة المصلحين الدينيين السياسيين في العالم الإسلامي على اختلاف مواقعهم، فلقد كانت موجة المد الاستعماري التي بدأت منذ القرن الخامس عشر الميلادي، تلتف حول العالم الإسلامي من جوانب عدة وكانت عمان واحدة من الثغور الإسلامية التي لمست عن

(١) انظر في الرسالة والرد عليها في «نهضة الأعيان» ص ١٢٢ وما بعدها.

« يوقن أن اللغة مادة البلاغة وجمال التعبير، وكان من شواغله الكثيرة .. احياء اللغة مادة وعلماً ودراسة وكتابة، فكان يعين جماعة احياء الكتب العربية بعلمه ووقته وماله ونفوذه، وكان ينشر نماذج البلاغة السلفية ويشرحها بقلمه أو ينوه بها في دروسه وتفسيراته من قبيل «نهج البلاغة» و «مقامات البديع» و «دلائل الإعجاز» و «أسرار البلاغة» ، وقد نظم الشعر في الحوادث التاريخية وفي بعض المناسبات الخاصة، وعدة من النظم الذي يراد للتدوين أو التذكير ولا يرتضيه شعراً على مذهبه في فن الشعر بين ألوان الفن الجميل»^(١)

الإشتغال بالأدب وعلومه والكتابة فيه إذن خاصة مشتركة بين زعماء الإصلاح الدينيين لهذه الفترة، سواء مارسه بعضهم من خلال التأليف وتحقيق الكتب التراثية، أو من خلال المقالة الصحفية، أو من خلال الخطابة أو نظم الشعر، وقد ضرب السالي بسهم وافر في كثير من هذه الميادين المتصلة بالأدب د فلقد كان مشهوداً له بالخطابة وكما يقول صاحب نهضة الأعيان: «كان خطيباً منطقياً يرتجل الخطب الطوال في المجمع والمحافل حسب ما يقتضيه المقام من السعي في إصلاح الأمة وجمع الشمل يرغب ويرهب بأبلغ بيان وأفصح لسان»^(٢)

وكان بالإضافة الى ذلك صاحب مؤلفات في علوم تتصل بالأدب كتأليفه في علم العروض، كتاب «المنهل الصافي في علم العروض والقوافي» وقد جاء في شكل أرجوزة تزيد على ثلاثمائة بيت، وله رسالة في النحو بعنوان «بلوغ الأمل».

أما صناعة النظم والشعر عنده فقد وجه الجانب الأكبر منها نحو تدوين المعارف نظماً اتباعاً لسنة قديمة شائعة في التراث العربي، وهي أكثر شيوعاً في ذلك التراث بعمان، وقد بلغت بعض أرجيزه في هذه الناحية نحو أربعة عشر ألف بيت مثل أرجوزة «جوهر النظام» في الأديان والأحكام والأخلاق والحكم.

(١) الأستاذ الإمام محمد عبده، عبقرى الإصلاح والتعليم، عباس محمود العقاد ص ٢٦٧ وما بعدها - سلسلة أعلام العرب - القاهرة.

(٢) نهضة الأعيان ص ١٢٠

والى جانب النظم كانت له مجموعة من القصائد ذات النفس الشعري وقد أشرنا الى نموذج منها، وأشار صاحب نهضة الأعيان الى نماذج أخرى، وقد ترك السالمي ديوان شعر مخطوطاً ما زال في مكتبته ببديه حتى اليوم.

على أن السالمي أسدى خدمة جليلة أخرى للأدب العربي في عمان، تمثلت في تدوين كثير من أخبار الشعراء والأدباء، ونماذج من نتاجهم وما كان لبعضها أن يصل إلينا لولا إشارة السالمي لها وتدوينه إياها، وربما يحسن أن نشير بشيء من التفصيل الى مجهوداته في هذه الناحية، أن ننبه على الروح العلمية المنهجية التي كان يتمتع بها السالمي مؤلفاً، وعلى قدر الاستقصاء الذي كان يبذله، على الرغم من قصور بعض أدواته من خلال كف البصر، لكي يطمئن الى الحقيقة التي يود أن يذيعها، وعلى قدر الأمانة العلمية التي كان يحملها إزاء نفسه وقارئه والتي كانت تدفعه الى الاعتراف بالتقصير إن وجد بل وإلى الإبقاء عليه رمزاً لتطور معرفة الانسان، كما أشار في مقدمة شرح بلوغ الأمل وكان قد كتبه في فترة الشباب ثم عاد إليه ليجد فجوات فيقول: « فتداركته بزيادة أبيات كان منها النظم خالياً. وكسوته بشرح هذا المزيد مع الخطبة حللاً ، كان ذلك الشرح منها عارياً، ثم أبقيت الأبيات الأولى على ما فيها من خلل، ليكون ذلك على عجز ذي دليلاً، وليعلم المبتدئ أن العلم، انما ينمو قليلاً قليلاً، وليبين الفرق بين درجة المبتدئ ودرجة المنتهي.

وهو يشير في موضع آخر الى منهج علمي دقيق يتبعه في تحقيق المخطوطات من خلال تجميع النسخ المختلفة والمقابلة بينها حين يقول في مقدمة شرحه للجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي «وقد وقع فيه من التحريف من النساخ من غير قصد، فجمعت من نسخه ما أمكن، واخترت من مجموعها ما هو أليق وأحسن، فخرجت من الجميع نسخة أرى أنه أصح من غيرها، ولا أدعي سلامتها على الإطلاق غير أنني لم أجِد فوقها من مطلق».

ان هذا الكلام وان كان قد ورد في معرض آخر غير الحديث عن الأدب دراسة أم ابداعاً فإنه يلقي لنا بعض الضوء على المنهج الذي جمع السالمي من خلاله بعض الأجزاء المتناثرة من تاريخ الأدب العربي في عمان وهي مجهودات تمثلت على نحو خاص في كتابه تحفة الأعيان وهو كتاب يسد ثغرة رئيسية في الكتابة عن الشعراء والأدباء الذين ينتسبون الى عمان وهم لم يخلدوا بقدر كبير من العناية في كتب تاريخ الأدب العربي العام لأسباب جغرافية وسياسية وفكرية ، تعرضنا لها بالتفصيل في دراسات أخرى^(١) ، كما لم يحظوا بكتابة مستقلة عنهم من قبل مؤرخين للأدب في عمان، حيث كادت تنعدم المؤلفات في هذا المجال على حين كثرت وتعددت في مجالات أخرى كدراسات الفقه وعلم الكلام، ولكن كتب المؤرخين العمانيين، قبل السالمي بقليل، كانت قد بدأت في تناول بعض أخبار الشعراء والأدباء خلال تعرضها لسرد التاريخ العام في عمان، حدث شيء من هذا في القرن الثاني عشر ، في كتاب «كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة» لسرحان بن سعيد الأزكوي، وفي كتاب آخر في نفس القرن وهو كتاب «قصص وأخبار جرت في عمان» لمحمد بن عامر المعولي، وحدث توسع كبير في هذا المجال مع ابن رزيق في القرن الثالث عشر، عندما جاء في كتابه «الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين» عندما جاء هذا المؤلف التاريخي يحمل مقدمة طويلة عن تاريخ الأزد تعرض خلالها لكثير من الشعراء الذين ينتمون أو تنتمي أصولهم الى هذه القبيلة حتى وإن تفرقت بهم البلاد.

وفي هذا الطريق سار نور الدين السالمي وتوسع، وكان قريب العهد من ابن رزيق، الذي كتب مؤلفه هذا عام ١٢٧٤ هـ أي قبل ميلاد السالمي بنحو أربع عشرة سنة، ولقد نقل السالمي بعض أخباره وتحدث الى من رأوه، كما نقل كذلك عن العوتبي، وعن مصادر تاريخية أخرى، ومن خلال ذلك اعاد تسجيل ما كان شائعاً في هذه المؤلفات من أحداث أدبية ونصوص شعرية تنسب الى التراث العماني كقصة مالك بن فهم

(١) راجع كتابنا، المدخل لدراسة الادب في عمان ، دار المعارف - القاهرة ، مكتبة الأسرة - مسقط، ١٩٩٢.

وما قيل حولها من شعر له أو لأولاده أو معاصريه، وقصة اسلام مازن ابن غصوبة وما يرتبط بها من نصوص شائعة كما يورد كذلك نصوصاً لثابت قطنه من شعراء الصدر الأول، وينقل عن العوتبي قصيدتين طويلتين لابن دريد من بين القصائد القليلة التي سلمت من الضياع من شعره الكثير، ويكاد أن يكون تاريخ السالمي لبعض الأحداث الهامة في التاريخ العماني تاريخاً أدبياً الى جانب كونه تاريخاً عاماً كحديثه عن موقعة القاع وما قيل فيها من شعر، وحديثه عن هجوم محمد بن نور على عمان، وتهديده لأهلها شعراً على لسانه أو لسان كاتبه، ورد ابن دريد عليه.

على ان السالمي كمؤرخ للأدب لا يكتفي بنقل النصوص التي دونتها الكتب السابقة عليه، وانما يمتد به التدوين الى رصد ما تناقله الناس شفاهة، أو تداولوه في مخطوطات محدودة الذيوع ومن هذه الناحية يكاد ينفرد كتابه «تحفة الأعيان» بتقديم نصوص شعرية وأحداث أدبية وأسماء لشعراء ودواوين، كان يمكن أن يطمرها النسيان جميعها لولا أن انتشلتها التحفة من أرديّة الضياع التي ابتلعت من قبل كثير من المؤلفات القيمة، وبعض الدواوين التي يشير إليها السالمي فردية كديوان ابن اسحاق الحضرمي الذي كان يعاصر الإمام الخليل بن شاذان في أوائل القرن الخامس الهجري، وبعضها دواوين جماعية مثل الديوان الذي يذكر انه اطلع عليه وقد تجمعت فيه مدائح الشعراء التي كتبت في الإمام بلعرب بن سلطان.

ويهتم السالمي بشعراء مفردين يعتز بشعرهم ، كالنبهاني، الذي أغفله المؤرخون السابقون عليه شاعراً وإن كانوا قد ذكروه ملكاً، ولكنهم لم يشاءوا الاشارة به لعدم اتفاقهم مع مسلكه في الحكم، غير أن السالمي يفرق بين الأمرين، فيرى أن قصائده تناطح المعلقات السبع بلاغة ويورد نماذج منها ويعتز بها، ويشير بجانبه الى الستالي شاعر النباهنة، ويشير الى أهمية ديوانه في التعريف بدولة النباهنة وحكامهم، وانه يكاد أن يكون المرجع الوحيد في هذا الصدد.

وكما اهتم السالمي بشعراء النباهة ، وقف كذلك أمام شعراء اليعاربة وعلى نحو خاص أمام «الحبسي» شاعرهم الضريع، وأورد نماذج مطولة من بعض قصائده، وأعجب على نحو خاص بقصيدته «الخيالية» التي تصور بعض المواقع المشرفة والتي انتصر فيها اليعاربة على البرتغاليين، ويمتد اهتمامه الى ما يقال من شعر في شرق افريقيا في الفرح بهذه الانتصارات والاشادة بها.

ويكاد يمتد اهتمامه الى أشعار العامة، التي تشيع عادة مجهولة المؤلف متوسطة المستوى، تقترب من لغة الحياة اليومية، أكثر من اقترابها من لغة الصناعة الشعرية، ومنها قصائد يكتبها أهل منطقة الباطنة في الترحيب بالإمام محمد بن غسان وديوان كامل مجهول المؤلف، أو متعدد المؤلفين في مدح بلعرب بن سلطان وقصيدة مجهولة المؤلف لحادثة غربية وقعت في نزوى في القرن الثاني عشر الهجري في عهد الإمام سيف بن سلطان اليعربي.

وعلى هذا النحو يكمل السالمي جانباً هاماً من جهوده في خدمة الأدب في عمان، مؤرخاً للأدب، بعد أن ساهم من خلال كونه أديباً شاعراً وخطيباً وكاتباً ومؤلفاً، في نشر دعوته الإصلاحية في أرجاء الأمة، وسلك بذلك كله طريق كبار المصلحين الدينيين في العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، واستحق أن يكون واحداً من أوسطهم، وأن يسجل لنفسه ولبلده ولفكره وأدبه مكاناً مرموقاً في التراث العربي والإسلامي سيذكره الناس مازكر المفكرون الجادون والزعماء المحققون، والعلماء العاملون، والأدباء النابهون رحم الله السالمي وأفادنا جميعاً من علمه وعلم رفاقه.

الجوانب التربوية والتعليمية في مؤلفات السامي

إعداد / أحمد بن سليمان الكندي

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد أخذت التربية قسطاً وافراً من العناية في الإسلام وشغلت مساحات واسعة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، كما عني بها الأئمة والعلماء لما لها من أهمية قصوى باعتبارها الوسيلة المثل التي لو أحسن اختيار طرقها وأساليبها لحققت الغايات التي ترجى من بناء الفرد الذي يكون بدوره لبنة صالحة في البناء المتكامل وعندئذ تتحقق الغايات الكبرى من هذا الوجود حيث يكون الإنسان قادراً على الاضطلاع برسالته في الحياة، مدركاً للهدف الذي من أجله وجد مستشعراً حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه، مهياً لأداء وظيفته بعد أن اجتاز مراحل الإعداد العلمية منها والعملية مستلهماً منهجه في حياته من مبادئ دينه الحنيف، متمثلاً في سلوكه بالمثل الأعلى سيد الخلق ومعلم البشرية محمد صلى الله عليه وسلم.

ومهمة المربين عظيمة لم يستطع الاضطلاع بها الا من استشعر عظمته وأدرك خطورتها فنذر نفسه لها.

لهذا نجد أن المبرزين في التربية قليلون في كل جيل وتحقيق غايات التربية انما هو تحقيق لأهداف الدعوة التي جاء بها الرسول ﷺ اذ لايمكن تحقيق دعوة الإسلام مالم يهيأ لها أفراد المجتمع لتقبلها، وليس من الممكن فعل ذلك الا باتباع أنجح الأساليب التربوية.

التربية في التاريخ العماني:

هذا وتفخر عمان بالعديد من المدارس العلمية المبنية على أفضل الأسس فمنذ عهد التابعين وحتى الآن توالى على مر التاريخ معالم حضارية في هذا المجال وناهيك بمدرسة الإمام جابر بن زيد رضي الله عنه التي أرسى دعائمها على أسس منهجية عليا طورها بعده الإمام أبو عبيدة الكبير مسلم بن أبي كريمة الذي وضع تنظيمات لم يسبق إليها في تكوين الرجال واعدادهم، وحفلت مدرسته بالنشاط المتميز حيث وفد إليها طلبة العلم من مختلف أقطار الأرض، وبأولئك الأفراد تمكن من نشر العلم والدين في عدد من الأقطار وهكذا توالى المدارس العلمية في عمان ويمكننا أن نستعرض أسماء — مجرد أسماء — بينهم فترات زمنية متفاوتة إلا أنهم يعتبرون منارات للعلم وعلامات بارزة في تاريخ عمان الحافل بالأمجاد، فالربيع بن حبيب وموسى بن أبي جابر ومحمد بن بركة وخميس بن سعيد الشقسي ثم سعيد بن خلفان الخليلي وأخيراً الإمام نور الدين عبدالله بن حميد السالمي رموز تتوالى تصنع الرجال وتنشئ الأجيال، برزوا في فترات متباعدة وجاءوا — في الغالب — في زمن يكون فيه الناس بحاجة ماسة اليهم، فيعدهم القدر لاشعال جذوة الفكر فيغيروا مسار التاريخ، ويحولوا مجرى الأحداث يأخذوا بأيدي أهل زمانهم في وسط ذلك الظلام الدامس يقودونهم الى الطريق الواضح آلعالم الذي اهتموا اليه بفضل الله تعالى، وهو طريق يمكن سلوكه لكل من وفقه الله، وتوفيق الله مرهون بالتوجه الصادق اليه تعالى.

الإمام نور الدين السالمي تربوياً:

هذا ونحن نتحدث عن الإمام نور الدين السالمي وفكره التربوي لأجدني في حاجة الى الحديث عن شخصه فهو لم يعد في حاجة الى التعريف، ولكن من باب الاعتراف بالجميل لأهله أن نذكر للإمام فضله في مجال التربية، ... التربية بمفهومها الواسع، فهو قد كرس حياته

ووقفها، ونذر نفسه لهذه الرسالة العظمى، واضطلع بها وحمل أمانتها مستشعراً عظمتها متحملاً مسؤوليتها فبعد أن اتجه الى الله في طلب العلم وأوتي منه النصيب الوافر أخذ في أداء ما عليه من الواجب تجاه أمته فجمع بين تجديد المناهج العلمية، واتباع الأساليب المناسبة واستخدام الوسائل المتاحة، وحرص على التطبيق العملي لما يدعو اليه، ووفق أيما توفيق في تحقيق الأهداف التي كان يسعى اليها طول حياته.

وإذا كان حديثنا عن الجانب التربوي لدى الإمام نور الدين السالمي فإن هذا الجانب يعتبر أهم الجوانب في حياته حيث انه رحمه الله كرس حياته للتربية علمياً وعملياً .. أما علمياً فإن مؤلفاته في مجملها تمثل منهجاً تربوياً متكاملأً يتدرج فيه بالدارس من أدنى مستوياته ليصل الى مرحلة التخصص العليا، وفي ذلك تتجلى مقدرة الإمام العلمية وبراعته التأليفية حيث يجسد في مؤلفاته تلك الأساليب التربوية التي ينادي بها علماء التربية ، اذ تجد أن أسلوبه العلمي في التأليف يدل على وعي بالغ بالمنهج التربوي، فهو مؤلف لكل مرحلة ما يناسبها من الكتب، ويخاطب كل طبقة باللغة التي تفهمها، ويعطي لكل طالب ما يناسبه من المعارف ويتدرج به شيئاً فشيئاً حتى يرتقي به الى المراتب العليا.

منهجه التأليفى الفريد:

وهذا شأنه في الجانبين النثري والنظمي، ففي النظمي نجد كتابه «مدارج الكمال» مختصراً واضحاً سهلاً، ثم نجد «جوهر النظام» أكثر شمولية واتساعاً، وحتى في الجوهر تجده يتفاوت في باب وباب فهو في الأبواب الموجهة للمتخصصين في الفقه يستخدم المصطلحات الأصولية ويستعرض الأقوال ويمحص الآراء، ولكنه يخفف الأسلوب في الأبواب الفقهية ذات الطبع العام أي التي تخدم السواد الأعظم من الناس ليكون بإمكان العامة فهم ما يقصده، بل انه يحاول في كثير من الأحيان استخدام اللغة العربية الدارجة المتعارف عليها.

ولكن أسلوبه التربوي يبرز بشكل واضح في الجانب النثري فهو يكثر من التأليف في هذا الجانب بل أنه ينهج ولأول مرة تقريباً ، الى التخصص حيث طرق باب التأليف في موضوعات لم يسبق إليها من قبل أهل عمان كما هو الحال في شرحه للجامع الصحيح مسند الإمام الربيع ابن حبيب - رحمه الله - ، فعلم الحديث كجانب متخصص لم يعن به العمانيون بل ضمنوه مؤلفاتهم الموسوعية الشاملة وقد برع الشيخ السالمي في هذا الكتاب وأجاد مما أثار إعجاب شيوخه به قبل أقرانه حتى ان أحد شيوخه وهو الشيخ ماجد بن خميس العبري قام بتدريس الكتاب في حلقاته العلمية وكذلك الحال بالنسبة لتحفة الأعيان حيث ان علماء عمان غالباً ما يتعرضون لسير أئمتهم في ثنايا كتبهم الكبيرة ولا يفردون للسيرة والتاريخ كتباً خاصة الا في النادر، وجاء كتاب «تحفة الأعيان» مرجعاً وحيداً لكثير من الباحثين المعنيين بالتاريخ وألف كذلك كتباً في اللغة وعلومها بل انه حتى في الموضوعات الدينية كأصول الدين والفقه وأصوله يأخذ في تأليف كتب خاصة لكل فن من هذه الفنون بل يذهب الى أبعد من ذلك حيث يتدرج بطريقة علمية تربوية في الفن الواحد كما هو الحال في منظومته أنوار العقول في أصول الدين فيشرحها شرحاً مبسطاً في كتابه «بهجة أنوار العقول» بحيث يصلح لطلبة العلم في المراحل التأسيسية ثم يشرحها شرحاً مفصلاً واسعاً ذا تحقيق وتدقيق في كتابه «مشارك أنوار العقول» ليكون في مستوى الدارسين لهذا التخصص وفي الفقه يؤلف تلقين الصبيان للمبتدئين ويتدرج به في «مدارج الكمال» ثم جوهر النظام ويتوج تأليفه الفقهية بكتابه الشهير «طلعة الشمس» في أصول الفقه.

موضوعات تربويه هادفة :

هذا ويفرد الإمام نور الدين السالمي أبواباً وفصولاً للتربية ولا أعني بذلك أنه يضع مفاهيم أو نظريات تربوية، بل انه يعطي دروساً في تربية

النفس البشرية المسلمة خاصة، والمتأمل في هذ الموضوعات يجد انها تستند على أسس تربوية عميقة، وعلى سبيل المثال خاتمة كتاب مدارج الكمال حيث يبرهن عن معرفته الواسعة والدقيقة. وتعمقه بعلوم النفس البشرية فيشخص فيها كثيراً من الأمراض ويعرض لها الوقاية والعلاج ومن هذه الخاتمة:

حق على من ألهم الله الحكم
وأن يكون قائماً بما يجب
منتهياً عن فعل ما نهاه
قد أخذ الجانب عن حمى الريب
سمت به همته فلا يرى
فأيقظ العزم وأوقد الفطن
ويقول فيها :

ثم توخى أفضل الأصحاب
يكتم سره وينصحن له
ويستشيريه اذا ما نابا
ونقل الآراء بالتأمل
وبادر الخيرات بالتعجل
حتى ترى ضرره ونفعه
وقسم الأوقات في معاده
أما الرقاد فهو صدر ليله
وفي المعاش ما لا بد منه
فانه ما قل منه وكفى
وان في قليله حسابا
من ارتدى بالفضل والآداب
ويحملن معه ما أثقله
أمر ويصغي حين ما أجابا
ومزج العجلة بالتمهل
وان يكن شر فلا تستعجل
وتعرفن أصله وفرعه
وفي معاشه وفي رقاد
وساعة في الصيف من مقيه
ويترك الذي تغانى عنه
خير من الملهي الكثير فاعرفا
وفي الكثير المشغل العتابا

ويجملن في طلاب الرزق
وللمعاد طرق موصلة
وحبذا اذا جمعت الكلا
ويقول فيها أيضاً:

وفرغ البال ليقنص الحكم
وطهر القلب وأخلص العمل
ووزن الذي عليه قد عنا
وترك الذي عليه التبسا
فان أثبت عاقبتها بالصوم
وطلب العون على تذليلها
كم سبع أخبته في أرجائها
فهذه الأربع رأس الشر
فالعجب أن يستعظم النعما
والكبر أن يغمط هذا الخلقا
ومن تمنى أن تزول النعم
ومن تمنى مثلها فلا حرج
أما الرياء فهي أن يعمل لا
فهو يراعي حبه ان حضروا
قد خسرت تجارة الجميع
وحرموا حلاوة الإيمان
فاجعل هداك الله كل البشر
وأعلم بأن الله مسبل النعم
وأنه ليس يزيلها الحسد
وأنظر الى أصلك تعرف قدرك
وان هذا الناس أيضا مثلك
فاعدد لما عملته جواباً
وحاسبنها قبل أن تحاسبها

فربنا ضمن هذا الخلق
فألزم طريقه الى أن تصله
ونلت من أقداحه المعلى

حتى غدا في العلم راسخ القدم
راقب النفس وقصر الأمل
وقصد الحق المنير البينا
وعاتب النفس اذا ما قد أسى
وترك ما تهواه مثل النوم
فانما الهلاك في تجليلها
عجب وكبر حسد ريائها
ومنبع الآفات والتجري
وينسين من بها قد أنعما
مزديراً ويدران الحقا
عن غيره فحسد محرم
وذاك بالغبطة يدعى ان خرج
لله لكن ليحييه الملا
وود أن يظهر ان لم يحضروا
اذ هدموا الأعمال بالتضييع
فلم يف المزيّد بالنقصان
ان شئت أن تسلم مثل الحجر
فالعجب لاعمى له سوى النقم
وان يمت صاحبه من الكبد
وتدر أن الكبرياء لغيرك
لايملكون نفعمهم وضرك
فأنت لابد ترى خطابا
وكن الى الله تعالى راغباً

وفي كتابه القيم «جواهر النظام» يفرد أبواباً لهذا الغرض .. كما للتوبة والآداب بل ان الجزء الرابع من الجواهر يكاد أن يكون مخصصاً بكامله لهذه الأغراض التربوية.

التربية العملية عند الإمام:

وللإمام نور الدين السالمي جانب عملي في تطبيقه للمفاهيم التربوية عملياً ليس في نفسه فحسب فهذا أمر مفروغ منه، ولكنه قام - رحمه الله - بأعداد جيل من الرجال رباهم على يديه منذ نعومة أظفارهم حتى وصلوا الى درجة الاجتهاد في الدين من أبرزهم الإمام الجليل أبو خليل محمد بن عبدالله الخليلي - رضي الله عنه - ، والإمام الرضي سالم بن راشد الخروصي، والشيخ العلامة عيسى بن صالح الحارثي، والعلامة الكبير أبو زيد عبدالله بن محمد الريامي وغيرهم كثير، وله مع هؤلاء مواقف يتناقلها الرواة تدل على مقدرته على التربية بكل حكمة وابداع، الأمر الذي هيأهم للاضطلاع بأعلى المسؤوليات.

خاتمة:

بناء على ما تقدم يتضح أن الإمام نور الدين السالمي رجل فكر وتربية من الدرجة الأولى فهو المؤلف والمبدع والمربي الناجح، وعليه فلا غرو ان قلنا ان الفضل يعود اليه في وجود فقهاء عمانيين الآن بل ان طلاب العلوم الإسلامية بمختلف مراحلهم الأكاديمية هم تلاميذه، لأنهم ينهلون من علمه من خلال مؤلفاته التي أصبحت مقررات ومراجع في كلية التربية والعلوم الإسلامية، والمعاهد الإسلامية العليا في السلطنة.

رحم الله الإمام نور الدين السالمي ورضي الله عنه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

اطلالة على شعر « نور الدين السالمي »

إعداد / سالم بن علي بن سالم الكلباني

إنه لأمر غير عادي أن يكون الشيخ الضرير عبد الله بن حميد السالمي علماً بارزاً من أعلام الفقه والشريعة في زمن طمس فيه الجهل على بصائر آلاف المبصرين وأن يكون علماً من أعلام الحل والعقد في زمن كان الآلاف من الأصحاء الأسوياء الأقوياء لا يجدون لهم موطئ قدم في معركة التنافس الشرس على الهيمنة والتسلط بشتى ذرائع هذا التنافس ومبرراته.

ولقد تمنيت أن يدور حديثي عن هذا العلم البارز حول جانب غير الشعر من جوانب شخصيته المتميزة التي فرضت على المجتمع أن يحترمها كل الإحترام وأن يقدرها كل التقدير. إلا أن انتسابي إلى جماعة الشعر والشعراء هو الذي دفعني الى تناول هذا الجانب الذي كنت ولا أزال أرى أنه أقل جوانب هذه الشخصية بروزاً اذا ما قيسَت بعبقريتها الفذة التي تتجلى في كثير من المعارف الأخرى.

لقد كان الحصول على مصادر شعر الشيخ ليس بالسهولة المتوخاة وخاصة ما يتناول من الشعر المعنى البديع واللفظ السهل والأسلوب الجميل. وقد وفقني الله في الحصول على عدد من قصائده تنصب مُعظمها في معظمها في مجالين أو ثلاثة مجالات لاتكاد تعدوها إلا نادراً، وكثير من هذه القصائد يحتوي على رثاء لأشخاص معينين يلوح لي أنه كان لهم أثر كبير في حياة الشيخ ومنهجه فمدحهم أحياء ورثاهم أمواتاً وهكذا عرفنا أوفياء الرجال.

لقد كانت حياة السالمي ملأى بالأحداث الجسام التي كان كل منها يحدث لديه أثراً نفسياً بالغاً أو هزة عصبية عنيفة فكان لكل فعل تفعله هذه الأحداث ردة فعل لدى شعوره المتحفز الذي لم يكن من السهل عليه أن يتقبل كل شيء على علاته. وربما كان المجتمع الذي عايشه لا يفي بجميع آماله الطامحة نحو حياة قويمة مهما كانت الظروف والأسباب الأمر الذي بعث فيه احساساً حفزه في الكثير من قصائده الى شحذ الهمم واستنهاض أبناء الأمة ولهذا السبب نعزو انشاء معظم قصائده التي نحن بصدد الحديث عنها إذ إنك قلما تقرأ له قصيدة إلا واجهك لوم البعض لتقصيرهم ونكولهم عما يرى الشيخ أنه واجب عليهم لا يمكن التفريط فيه بأي حال من الأحوال حتى يبلغ به الأمر مبلغاً يقول فيه وبمرارة:

إن للغايات كلا ينتهي هل لحال العجز منا منتهى

لقد عاش السالمي في عصر تزامم فيه الفحول من العلماء والشعراء على امتلاك ناصية البلاغة فنبغ منهم ولع العشرات من أرباب البيان وفطاحل العلم الذين لا يتسع مجال حديثنا هنا لذكرهم جميعاً وإذا جاز لنا أن نختص منهم قلة قليلة ممن كان للشعر نصيب من عبقرياتهم الفذة فإن ممن عاصره ابن عمه الشاعر محمد بن شيخان السالمي والعلامة محمد بن سالم بن زاهر الرقيشي والعلامة سيف بن حمد الأغبري، والشيخ عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي. وأبو سلام سليمان بن سعيد بن ناصر الكندي وأبو وسيم خميس بن سليم الأزكوي وأبو صخر سيف بن يعرب بن قحطان البوسعيدي. وأبو مسلم البهلاني الرواحي الذي رثى السالمي بأشعار قال في بعضها:

ما فقدناك وعرفناك في صفحات الكون ضوء يشتعل
إن رب العلم حي خالد ولو أن الذات بالموت انتقل
ما تركت الكون حتى تركت خطة الحمد لك الحمد الجلل

هؤلاء قلة من كثرة العلماء الذين عاصروه ممن كانوا يقرضون
الشعر عدا العلماء الفطاحل الذين لم يكن لهم احتفال بالقريض وقد
أوردنا هذه الأسماء للدلالة على أنه لم يكتسب شهرته وذيوع صيته من
فراغ بل اكتسب هذه الشهرة بما وهبه الله من همة عالية أهلته لأن
يكون العالم الضليع بتحمل مسئوليته العلمية الجليلة. لقد عرف عن
البعض من الشعراء وكما قال فيهم رب العزة أنهم (في كل واد يهيمون
وأنهم يقولون ما لا يفعلون) بيد أننا وغير جاحدين لقول الله عز وجل
نرى أن الشيخ ليس من الفئة الموسومة بهذه السمة بل هو والعلم عند
الله من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ذلك لأن معظم قصائده التي بين
أيدينا تعدو كونها حثاً على فضيلة أو نهياً عن رذيلة لما فطر عليه من
الاستقامة والتمسك بمكارم الأخلاق، فلنستمع اليه قائلاً :

أبت إلا المروءات الأبيسة نفوس لاتقر على الدنيه
علت شرفاً وفلت كل خطب بأحساب وهماث عليه
وقابلت المصائب باحتساب فخفف صبرها ثقل الرزيه

هذا هو أسلوبه ومنهجه. ولئن كان الشاعر العربي الكبير ابن الرومي
في نوبة من نوبات نقمته وسخطه قد شط على الشعراء فقال متهما اياهم
بالتزييف والدجل:

يقولون ما لايفعلون مسبة من الله مسبوب بها الشعراء
وما ذاك فيهم وحده بل زيادة يقولون ما لا يفعل الأمراء

فإن أمراً مثل هذا حاشاه أن يندرج على السالمي حيث اننا نجله
ونكبره عن أن يكون مديحه ستجداء أو تملقاً وإنما هو رد للجميل من
ناحية أولى، ومن ناحية أخرى محاولة منه لاستقطاب القوى الفاعلة في
المجتمع لكي تتعاون معه على تقويم السلوك لدى من يعتقد الشيخ انهم
بحاجة الى تقويم ، يبرر هذا الرأي قوله:

ان بدا حادث عظيم تعاضم
قام ان قامت الحروب وصادم
شيدت ركنها القنا والصوارم
ود أن لا يكون في الناس ظالم
تمطر الجود للورى والمغانم
تمحق الكفر منهم والمظالم
ويرى أن ذاك في المجد لازم
عن طريق العلا لمن كان قائم
مثل طعن اللهى وحز الغلاصم
فرايت النجا ارتكاب العظامم
ألفوا الذل بين غيد نواعم
عاطلات وضيعوا كل لازم

خفف العذل عن محب تصامم
وله في الوغى طرائق صدق
وله في العلا منازل حق
وله في الورى نصائح ود
وله في الندى سحائب عرف
وله في العدا صواعق حتف
وتقى القوم نفسه كل سوء
نطقت سيرة الأوائل طراً
لم أجد للعلا طريقاً قريباً
قد تفكرت في عواقب أمري
كيف يرجو الحسان في الخلد قوم
تركوا الدين دارساً والمعالي

الى أن يصل هدفه المنشود الإفصاح عنه فيفصح قائلاً:

أنا عبد أحرص الناس والله تعالى أرجو لحسن الخـواتم
هكذا يوضح لنا غايته التي يحرص الناس عليها تحريضاً مباشراً
لا يعرف التلميح أو الرمز أو التورية وذلك هو ما تقتضيه بيئة المجتمع
الذي تربى فيه وعائشه هو مجتمع عربي قح تستثير الدعوة المباشرة
حميته وتلهب مشاعره، ونراه أحياناً وقد ألزم نفسه ببعض المواقف
التي لا يرى محيداً عنها ومن ذلك قوله مدافعاً عن موقفه مبرراً وجهة
نظره:

ودعوتهم للمجد والعلياء
طلب الهدى فاذا بهم أعدائي
أشعر بهم إلا وهم خصمائي
في عزة وأحلهم ببلاء

يدعونني للعجز عن طلب العلا
بالأمس كانوا خلتي فأغاضهم
ولقد عهدتهم ذوو ود فلم
الحق باعد بيننا فأحلني

قالوا شديد طبعه ذو غلظة فأجبتهم لكن على السفهاء
وقد خفضت جناح ذل للذي أضحي أخوا تقوى ورب وفاء
أما العصاة فانهم ما شاهدوا مني سوى الإعراض والبغضاء

لقد قرأنا حوالي ٢٨ قصيدة متوسطة الطول تدور في معظمها حول محور واحد هو الدعوة الى الله . ومن هذا المحور تتشعب عدة شعب منها شكوى الزمان وأهله وانكار حالة التهاون التي يراها تسود المجتمع. والزهد في الدنيا وزخرفها الباطل في سبيل الآخرة التي اليها المعاد. ورثاؤه للصالحين من حوله ممن يرى أنهم الأسوة الحسنة لمن يريد أن ينهج بنفسه طريق الرشاد والاستقامة، وقد استأثر هذا الرثاء بربع تلك القصائد تقريباً. على أنه لا يأتي الا مصحوباً بعبارات المدح والتمجيد وصيحات الندب والتحريض وما الى ذلك مما كانت الظروف تقتضيه آنذاك. وهذا نموذج من رثائه في قصيدة افتتحها بابداء الرأي فيما ينبغي أن تسير عليه الحياة حتى يتحقق وجود المدينة الفاضلة التي ينادي بها:

إن جاء نصر الله والفتح وبطل التدليس والشطح

وهو في مرثيته يأخذ في ذكر مناقب المراثي كما هو الحال في الشعر العربي القديم الا أنك لاتجده يطيل في شرح تفاصيل الذكريات التي يتذكرها مع فقيده حينما كانا يتصاحبان في الحياة حتى ولو كان هذا الفقيد من أقرب الأقربين اليه. وبهذا يخسر القارئ فائدة التأمل لرسم صورة لواقع الحياة والناس في ذلك العصر وهذه الخسارة تجعله غير مكثف بما قدم اليه في عجالة من خطوط عامة كانت مألوفاً ومتداولة بين الشعراء العاديين ولقد تمنينا لو أن الشيخ أوفى هذا الجانب حقه لكي يجعل المتلقي يعيش معه أجواء الحادثة من خلال وقوفه على الوقائع السابقة واللاحقة بواسطة الصياغة الفنية المتقنة.

ويقول السالمي من قصيدة تبلغ ستين بيتاً رثى بها جملة من أحبائه
ثم ختمها برثاء أبيه في المقطع الأخير:

لَهْفِي عَلَى شَيْخٍ نَشَأَتْ	بَحْجَرِهِ زَيْسَنَ الصَّنَائِعِ
رَحْبَ الْجَمِيلِ مَهْذَبِ	حَسَنَ الشَّمَائِلِ وَالطَّبَائِعِ
طَلَقَ الْحَيَا فِي الشَّدَائِدِ	صَدْرِهِ فِي الضَيْقِ وَاسِعِ
يَا طَالَمَا أُسْدَى عَلَيَّ	مِنَ الْجَمَائِلِ وَالْمَنَافِعِ
كَمْ قَدْ أَضْرَ بِنَفْسِهِ	لِيَكُونَ لِي وَاقٍ وَمَنَافِعِ
كَمْ حَرَمْتَ عَيْنَاهُ طَعْمِ	الْغَمُضِ وَالْمَغْرُورِ هَاجِعِ
قَدْ كَانَ بِالْأَوْلَادِ بَرَا	شَاكِرًا لَوْ كُنْتُ قَاطِعِ
فَنَعَمِي إِلَيَّ وَلَيْتَنِي	مَا كُنْتُ ذَاكَ النُّعْيِ سَامِعِ
أَبْتَاهُ أَنِي كُنْتُ فِي اللَّقِيَا	قَبِيلِ الْمَوْتِ طَامِعِ
فَنَأَى بِكَ الْأَجَلَ الْمُقَدَّرِ	فِي بَعِيدَاتِ الْمَوَاضِعِ
قَضَيْتَ الْمَنِيَّةَ وَالرُّضَا	بِقَضَائِهَا أَنْ لَسْتُ رَاجِعِ
جَاوَرْتَ بَيْتَ اللَّهِ لَمَّا	صُرْتُ عَنْهُ غَيْرَ شَاسِعِ
فِي جَدَّةٍ جَاوَرْتَ حَوَا	وَالْمَهْمَنِ خَيْرَ جَامِعِ

إنه رثاء صادق مؤثر لا يستطيع أن يلصق به تهمة التملح والتلفيق
غير أن طبيعة السالمي ومذهبه ليسا طيعين بالقدر الذي يتيح له المبالغة
في الرقة إلى حد أبعد من هذا كقول الشاعر:

كَأَنِّي أَرَاهُ كَلِمًا جِئْتُ نَحْوَهُ بَعَيْنَ ضَمِيرِي قَائِمًا يَتَلَقَّانِي
يَكَادُ إِذَا مَا زَرْتَهُ أَنْ يَضْمَنِي وَيَمْسِكُنِي عِنْدَ الْوَدَاعِ بِأُرْدَانِي

ذلك انه اتخذ من التحدي مذهباً في تعامله مع الأحداث على اختلافها
وهذا التحدي انعكس بدوره على انتاجه الشعري بما فيه الرثاء ولسنا
نحب لحديثنا هذا ، الإيغال في ايجاد الأسباب والمسببات فنقيس نفسية
شاعرنا بمقياس الفلاسفة وعلماء النفس ثم نستخلص من هذا القياس

المؤثرات الخارجية والداخلية التي أثرت في حياته.

والسامي يشعر في كل بيت ينظمه أنه مؤمن صادق الإيمان راسخ
العقيدة لا يبتغي لوجود الله دليلاً ولا يشترط على الأنبياء شاهداً أو كفيلاً
فدليله فطرته وعقله وشاهده يكمن في شاهد أبي العتاهية الذي يقول:

فيا عجباً كيف يعصي الإله أو كيف يججده جاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

والسامي ذو الطبيعة المتحمسة المتحفزة وهو الذي يقول:

أرى الأيام لي حرباً ودهري كله صعباً
أدانيه فما يزداد مني أبداً قروباً
الأيام لي ذعن بالـ مراد فيثني وثباً
أجاذبه وقيت علأ فيتعب قوتي جذباً

نماذج من معانيه واقتباساته :

وهناك ظاهرة شعرية في السامي تسترعي الانتباه فهو ينظم شعره
حسبما تقتضي الحاجة الآنية دون أن يوغل في طلب المعاني الغربية
والألفاظ المنتقاة، ذلك أنه يوجه مقالا عفويًا خالياً من الاغراب والتأنق
بيد أنه وكما هي الحال لدى معظم الشعراء خاصة الحماسيون منهم
لم يستطع الإفلات والتحرر من هيمنة شعراء هذا الباب أمثال عنتره
والمتنبي وأبي تمام ومن شابههم ولقد بدا واضحاً تأثر الشيخ بعنتره
وتبنيه للمواقف البطولية التي يدعو إليها لاسيما قول عنتره:

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
سكنى الجنان بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

اقتبس الشيخ في عدة مواضع منها قوله:

لعنرك إن العز في طلب العلا وإن تك ناشتك العدا بالمخالب
ولا خير في عيش مشاب بذلة وإن يك في روض الجنان الأطايب
وفي هذه القصيدة أيضاً يلوح الشاعر زهير بن أبي سلمى بأبياته
التي تبدأ بمن ومن. وقد لاتفوت السالمي فرصة وجود بيت من مثل:

عليّ طلاب المجد من مستقره ولا ذنب لي أن عارضتني المقادر
لقد وافق هذا البيت هوى في نفس الشيخ فاعتقده في شعره وصاغه
صياغة فقهية كانت صبغة الشريعة والأحكام واضحة فيها حيث جاءت
هكذا:

إذا المرء لم يرضى بذل معيشة وقام الى العليا ولم يسعد الجد
فقد صار ذا مجد كريم وذا علا وما فوق وسع النفس لم يلزم العبد
وهذه اشارة الى قوله تعالى ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ ثم عاد
ليؤكد نفس المعنى في بيت مستقل هو:

ومن كان ذا عزم وبأس وسطوة وقام ولم يرزق علا فله الحمد
بيد أن شاعراً معاصراً هو عمر أبو ريشه الذي جاء بعد الشيخ
السالمي فتناول المعنى بصياغة فنية جديدة حيث قال مثنياً على المواقف
البطولية:

شرف الوثبة أن ترضي العلا غلب السوائب أم لم يغلب
أما قصيدة الإمام راشد بن سعيد اليمدي التي مطلعها:
لمن منزل قفر تعفت جوانبه وغيره من سافح القطر ساجبه
والتي منها:

ولا خير في خير ترى الشر بعده ولا في أخ دبب اليك عقاربـه
ولا عيش الا أسمر اللون عاسل وأشقر في يوم عبوس تلاعبه

هذه القصيدة يبدو أنها أعجبت الشيخ وتأثر بها فنظم على منوالها
قصيدة مشابهة ضمنها بيتين من هذه القصيدة طوعهما لكي يعربا عما
أراد الإعراب عنه فأصبحا هكذا:

ولا تتبع قول امرئ كل همه غداء يغدى أو كعوب تلاعبه
فيصبح في ضيم ويمسي بذلة مخافة أن تنأى عليه حبايبه

وأحب هنا أن أنوه بمقطع من القصيدة هو قول الإمام راشد فيها:

رئيني وخلقى يا ابنة القوم إنني رأيت الأذى حرباً لمن لا يحاربه
على أنني إما فتى ضمه الثرى وإما فتى حلت بقوم كتابه
وإما فتى يقضى عليه حمامه وإما فتى تقض الحمام قواضيه
وإما فتى أبكى عيون عداته وإما فتى تبكى عليه أقرابه

هذا المعنى بذاته أوجزه الشاعر عبد الرحيم محمود إيجازاً بليغاً
وأبدعه ابداعاً جميلاً وزاد عليه زيادة رائعة في بيتيه الشهيرين:

سأحمل روحي على راحتى وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدا

ولا أظن أن الشاعر عبد الرحيم محمود قد وقف على القصيدة
المذكورة ليقتبس منها وإنما هو توارد خواطر.

نعود الى الشيخ والحديث عن أشعاره لنسجل ملاحظة ملفتة للنظر وهو
أننا في جميع ما قرأناه من قصائده التي تحدثنا عنها لم نعثر له على
عبارة أو إشارة تدل على أنه فاقد للبصر كالشكوى أو التحسر أو التبرم
كما يفعله غيره ولا نشك في أنه محتسب في ذلك الأجر والثواب من الله
مطبّقاً ما جاء في القرآن الكريم على لسان يعقوب عليه السلام.

﴿إنما أشكو بثي وحزني لله﴾ صدق الله العظيم، ونود قبل ختام
الحديث أن نورد له هذه المقطوعة التي يتضرع فيها الى الله تعالى حازنين

حذوه في الدعاء والتبتل اليه عز وجل أن يجنبنا وإياكم كل شر في الدنيا والآخرة.

أدرك غريق المعاصي	يا آخذًا بالنواصي
يفضي به لخلاصي	وامنن عليه بلطف
يخشاه يوم القصاص	واغفر له كل ذنب
ومقعد غير قصاص	وامنن عليه بفضل
لطائع ولعاص	يا واهب الفضل جزه
فليس لي من مناص	إن لم تدارك بلطف
قضاك تحمي الصياصي	أين الهروب وما من

السالمي مؤرخاً

إعداد / حمدون بن سليمان بن سالم السالمي

مقدمة:

إن علم التاريخ من العلوم المهمة التي لا تقل أهمية عن العلوم الأخرى، فالتاريخ يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياساتهم، وهو الترجمان المعبر عن سالف الأمم والدول.

وتأتي أهمية علم التاريخ بارتباطه بالقرآن الكريم حيث يسرد القرآن الكريم كثيراً من قصص الأمم الماضية ، وقد جاء في الحديث الشريف «القرآن حبل الله المتين فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم» فحين يذكر القرآن العزيز خبر ما قبلنا ونبأ ما بعدنا هذا هو في حد ذاته التاريخ. الذي يعتبر نافذة تطل منها الأمم الحاضرة على طريقة الأجيال الماضية فهو المعبر عما سلف من عز وشرف وفضيلة، وانتصار وهزيمة وفتوحات وحروب، فهذا سجل حافل بالماضي بما فيه من سمين وغث وانتشار لمبادئ وانحسار لأخرى وقيام لدول وسقوط لثانية. ويضاف الى أهمية التاريخ في انه سجل زاخر بالسير الحميدة والأخبار الفريدة، فيفتح للباحث والقارئ أبواباً جمة للاقتداء والاهتداء واتباع من سبقه من الصالحين الأخيار.

وهو بذلك له أقطابه ورواده وفطاحلته وكتابه، وسوف أتناول في هذا البحث أحد أقطاب تاريخ عمان.

[لقد أدرك نور الدين السالمي أهمية التاريخ فأعطاه قسطاً وافراً من وقته وجهده وفكره، فمحس ودقق واستخلص فعبّر حيث قال في مقدمة كتابه تحفة الأعيان : «لا يخفى على عاقل ان علم التاريخ مما يعين على

الاقتداء بالصالحين ويرشد الى طريقة المتقين، لأن فيه ذكر من مضى من صالح وطالح، فاذا سمع العاقل أخبار الصالحين اشتاقت نفسه أن يكون من جملتهم، وإذا سمع أخبار الطالحين أشفقت نفسه أن يكون من جملتهم فتراه يقتفي أثر من صلح ويتجنب أحوال من طلع فيجاهد نفسه حق الجهاد فيستحق من الله العون والتوفيق».

لاشك أن ما اعتقده نور الدين السالمي أن علم التاريخ يعين على الاقتداء بالصالحين فذكر الصالحين يوصل المؤمنين ويزيدهم تعلقاً بالسلف الصالح، فيكون أصدق داعية إلى الله تعالى ويرشد الى الأعمال الصالحات.

وبالجملة اذا نظرنا الى التاريخ نجد أنه لاغنى عنه في معظم الأحوال الدينية والدنيوية. فقد جاء في جواهر الأدب لأحمد الهاشمي «التاريخ هو معرفة أخبار الماضين وأحوالهم من حيث معيشتهم وسياستهم واعتقادهم وأدبهم ولغتهم».

وجاء أيضاً عن الشيخ العلامة سالم بن حمود السيابي (في عمان عبر التاريخ) :

«ولا يخفى أن التاريخ مرآة تتجلى فيها أحوال الأمم أخلاقاً وأعمالاً وعواطف ومكارم وغلظة وشدة والتاريخ خازن هذه الأحوال بعد استجلائها وكشف حقائقها».

وتلبية لنداء الواجب وتصديقاً لكشف الحقائق لقد جاب نور الدين السالمي الفياقي والقفار وتنقل شرقاً وغرباً طلباً لكتاب أو لصحيفة أو حتى لورقة واحدة ليصل الى ماكانت تتوق نفسه اليه من ابراز لسيرة السلف الصالح واطهار لتاريخ عمان في ثوب جديد شامل وكامل ووافي، ولكن كانت هناك صعوبة قد اعترضت مؤرخنا ألا وهي شح المادة وقلة من طرق هذا الباب من قبل حيث قال معللاً تلك الصعوبة « مع قلة المادة في هذا الباب، اذ لم يكن التاريخ من شغل الأصحاب، بل كان

اشتغالهم باقامة العدل وتأثير العلوم الدينية وبيان ما لابد منه للناس أخذاً بالأهم فالأهم ولذلك لاتجد لهم سيرة مجتمعة ولا تاريخاً شاملاً». وبالرغم من قلة المادة المكتوبة وصعوبة الاتصال في ذلك الوقت فقد استطاع نور الدين السالمي بعد جهد وعناء أن يخرج ويبرز لعمان أنصع صفحاتها الضاربة في أعماق الماضي والتي كاد يطويها الدهر والتي كانت من المؤكد لصارت في طي النسيان ولجهلنا كثيراً عن ماضيها لولا أن مؤرخنا أفاض اللثام عن جذور ماضي عمان التليد. الذي جعل منه مؤرخاً وكاتباً موثقاً نقل عنه الكثيرون من المؤرخين الذين أتوا من بعده.

إن الهدف من هذا الجهد المتواضع هو إبراز جانب واحد من كثير واطهار موهبة واحدة من عدة مواهب تميز بها نور الدين السالمي، لقد طرق نور الدين السالمي أبواباً عدة في فنون العلم وسأقتصر هنا على موهبة الجانب التاريخي فقط حسبما جاء في عنوان البحث.

ولقد تم ترتيب هذا البحث كالآتي: نسب نور الدين السالمي - مولده وحياته - منزلته العلمية - وبعد ذلك سبب كتابته للتاريخ ويلي أهمية كتابه المسمى بتحفة الأعيان ، ومن ثم منهجه في كتابة التاريخ وبعض الآراء التي قيلت في منهجه، ويلي ذلك المصادر التي استقى منها مؤرخنا كتاباته، وأخيراً وفاته.

اسمه ونسبه :

هو العميد المحقق المجتهد المطلق الولي نور الدين عبدالله بن حميد بن سلوم بن عبيد بن خلفان بن خميس السالمي وجاء في اسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان للشيخ العلامة سالم السيabi بأن السوالم من نزار وهم قوم من بني ضبة بن اد بن طابخة من بني بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ويقطن السوالم في المناطق الشرقية والغربية والداخلية والباطنة من عمان وتعتبر الحوقين المنازل القديمة لهم.

مولده وحياته:

ولد نور الدين ببلد الحوقين وهي بلدة من أعمال الرستاق وبها منازل قومه وأهله ونشأ بها وقرأ القرآن العظيم عند والده رضي الله عنهما. وفي السنة الثانية عشرة من عمره كف بصره — رحمه الله — فمنحه الله ذاكرة قوية في الحفظ حيث لا يكاد يسمع شيئاً إلا وعاه فكان في منتهى الذكاء والفطنة وقد جاء في نهضة الأعيان للوالد محمد بن عبد الله السالمي أن نور الدين حفظ وهو ابن أربع أشهر أو دونها وهذه منحة أودعها الله فيه.

ومن أجل طلب العلم خرج نور الدين السالمي من الحوقين الى الرستاق فتتلمذ للشيخ راشد بن سيف للمكي عالم الرستاق ونواحيها في ذلك الوقت وتتلمذ أيضاً على الشيخ عبد الله بن محمد الهاشمي فكان أحد شيوخه الفضلاء، ثم هاجر الى الشرقية سنة ١٣٠٨ هـ لما سمع من أخبار الشيخ صالح بن علي الحارثي، فعرض عليه الشيخ صالح أن يستوطن القابل فامتنل أمره فلأزمه فكان الشيخ صالح أحد شيوخه الذين أخذ عنهم العلم .

ولما توفي الشيخ صالح عاضد بعده ابنه الشيخ عيسى بن صالح، وكان رضي الله عنه شديد الغيرة في ذات الله تعالى لاتأخذه فيه لومة لائم يقول الحق وينطق بالصدق مشهود له بالبسالة والصلابة وقوة العزيمة مشغلاً بالرد على من خالف ملة الإسلام مشغول البال بأمن الأمة الإسلامية يفرح ويبتهج بما ينفعها شديد الغيرة عليها يحزن لتفرقها ويكتئب اذا أصيب أحد من الأمة الإسلامية ولو كان في أقصى الأرض.

كان رضي الله عنه خطيباً منطيقاً يرتجل الخطب الطوال في المحافل والمجامع والمناسبات الدينية وغيرها، وكان حريصاً كل الحرص على وحدة الأمة الإسلامية كثير السعي في اصلاح ذات البين وكان يتخذ أسلوب الترغيب والترهيب منهجاً للاقناع والاستمالة وقد أظهر من بلاغة البيان وفصاحة اللسان ما عجز عنه الكثيرون.

منزله العلمية :

يعتبر نور الدين السالمي أحد أقطاب الأمة المجتهدين محققاً جليلاً للمنقول والمعقول معروفاً بغزارة العلم والاجتهاد واليه انتهت رئاسة العلم بعمان في زمانه ويظهر ذلك واضحاً من تاليفه الكثيرة في مختلف فنون العلم كالشرع والفقه واللغة والأدب وغيرها، بدأ التأليف بالرسائق سنة ١٣٠٥ هجرية وكان سنه في ذلك الوقت سبع عشرة سنة، ومن أشهر مؤلفاته أنوار العقول - بهجة الأنوار - مشارق أنوار العقول - معارج الآمال - جوهر النظام وتحفة الأعيان بسيرة أهل عمان.

قدم اليه الأخيار للنهل من فيضه والتزود بالمعرفة والعلم النافع فوفد اليه التلاميذ من سائر الأرجاء وقد تنوعت مدرسة السالمي في تقديم المادة العلمية فلم تقتصر على منهج معين أو مادة واحدة بل تعددت وتشعبت المناهج وتعددت المواد وشملت سائر فنون العلم، فكان على المتعلم أن يستسقي منها ما تمليه عليه رغبته ومقدرته واستعداداته.

فقد تخرج على يديه علماء أتقياء كانت لهم مواقف مذكورة ودور مهم في نشر العلم في أرجاء عمان. فكان هو القلب النابض الذي نفعا فيهم روح المعرفة فأصبحوا شعلة من نور أضاءت عمان وردت اليها الحياة بعدما كانت تعج في دياجير الجهل والظلام.

ومن أشهر من تخرج على يديه الامام سالم بن راشد والإمام محمد ابن عبدالله الخليلي والشيخ عيسى بن صالح والشيخ عامر بن خميس المالكي وأبو زيد عبد الله بن محمد بن رزيق الريامي.

ولم تقتصر همة نور الدين السالمي على التدريس والتأليف بل تعدت ذلك فقام بالاتصال بالعلماء من خارج عمان كالمغرب ومصر وغيرهما وكانت بينه وبينهم مراسلات ومكاتبات واستفتاءات ولاسيما الإمام القطب محمد بن يوسف اطفيش - رحمه الله - وقد ذكر الوالد محمد في نهضة الأعيان أن الإمام القطب قام بتدريس تلاميذه في مؤلفات نور الدين السالمي حيث أعجب بها وأثنى على مؤلفها.

سبب كتابته للتاريخ:

كانت هذه نبذة بسيطة عن نور الدين السالمي، والآن نأتي الى السبب الذي دعا مؤرخنا للشروع في كتابة التاريخ، فقد قال نور الدين السالمي واصفاً ذلك في كتابه تحفة الأعيان « وحيث كان العدل وسيرة الفضل في عمان أكثر وجوداً بعد الصحابة رضي الله عنهم من سائر الأمصار تشوقت نفسي الى كتابة ما أمكنني الوقوف عليه من آثار أئمة الهدى ليعرف سيرتهم الجاهل بهم، وليقتدي بهم الطالب لأثارهم ... ».

العدل والاستقامة وسيرة السلف الصالح كانت على رأس قائمة الدوافع التي دعت مؤرخنا ليرز لنا هذا العقد المتسلسل من الأحداث الهامة التي تعاقبت على عمان في مختلف الأزمان، وقد كان في نية مؤرخنا أن يكتب سيرة تجمع أحوال المذهب الأباضي وذكر أهله أينما كانوا ولكن كان نداء الرحمن أسبق ومعالجة الأيام أسرع من بلوغ المأمول فكان له من الله أجر مانوى في شروعه.

أهمية كتاب التحفة:

يعتبر كتاب تحفة الأعيان مصدراً مهماً في تاريخ عمان منذ عصر الجاهلية وحتى بدايات القرن العشرين حيث قال مؤرخه «.. وكتبت ما أمكنني أن أكتبه من أحوال عمان وأئمتها من أول أمر العرب فيها الى آخر ما انتهى الي علمه من أخبار أهلها الماضين ... ».

وتبدو أهمية التحفة من المصادر التي اعتمد عليها نور الدين السالمي فقد تتبع بنفسه في استقصاء المصادر والموارد وجاب أقاليم عمان بحثاً عن السير والأخبار ويظهر ذلك من اشارته لمجموعة من هذه المصادر حيث قال: « ... ففتبعت ما أمكنني تتبعه من كتب السير والآثار والتواريخ ».

وقد أشاد الدكتور فاروق عمر بأهمية التحفة في كتابه المسمى مقدمة

في دراسة مصادر التاريخ العماني حيث قال: « يعتبر كتاب التحفة تاريخاً حولياً لعمان حتى سنة ١٩١٠ م وهو بذلك يكمل كتاب الفتح المدين ويعتبر مصدراً أساسياً للفترة من سنة ١٨٥٦ - ١٩١٠ م ».

لقد رتب نور الدين السالمي كتابه التحفة في عدة أبواب والذي يتكون من جزأين فقد تناول في الجزء الأول التعريف بعمان وفضائل أهلها، وهجرة قبيلة الأزدي إليها بعد انهيار سد مأرب والأثر السياسي الذي نجم عن ذلك ثم يشير إلى طرد العرب للدخلاء الفرس من عمان قبل الإسلام ثم يتوسع في تناول فترة مالك بن فهم وأولاده من بعده وانتقال الحكم بعد ذلك إلى بني معولة بن شمس. ويتطرق إلى إسلام أهل عمان وحركة الردة ويخصص نور الدين السالمي باباً في عقيدة أهل عمان والسلف الذين أخذ عنهم أهل عمان الإباضية . ويشير إلى منازعة أهل عمان الدولتين الأموية والعباسية من أجل نيل استقلالهم السياسي ومن ثم ظهور امامة الجلندي بن مسعود وسقوط الإمامة الإباضية الأولى ويفرد نور الدين السالمي باباً لحكم العباسيين والبويهيين والقرامطة ثم يتكلم عن انتقال الحكم إلى بني نبهان.

أما في الجزء الثاني من التحفة فقد تناول مؤرخنا عهدي اليعاربة وآل بوسعيد ويصف عهد اليعاربة بفضائل الأئمة السابقين الذين كان لهم دور فعال في الداخل وصراعهم لتخليص بلادهم من النفوذ الخارجي. وقد تناول مؤرخنا باطناب عهد الامام ناصر بن مرشد اليعربي وأشار إلى خصائصه وفضائله وتأييد العلماء له ومن ثم يعدد فتوحاته.

ثم يستطرد نور الدين السالمي فيتناول أئمة اليعاربة الواحد بعد الآخر. ويشير مؤرخنا إلى الضعف الذي حدث في الفترة الأخيرة من حكم اليعاربة وانقسام أهل عمان إلى هناوية وغافرية وأثر هذا التمزق على المجتمع العماني مما أدى بالبلاد إلى الوقوع ضحية للتدخل الأجنبي ويعزو مؤرخنا إلى هذا التمزق انهيار وسقوط الإمامة في عمان.

فكان لابد من منقذ جديد ليخلص عمان من تلك المحنة وقد تمثل هذا الزعيم القومي في شخصية جديدة من قبيلة البوسعيدي هو الإمام أحمد ابن سعيد البوسعيدي مؤسس الأسرة المالكة في عمان.

ويشير نور الدين السالمي أيضاً الى الصدام مع البرتغاليين ومن بعدهم الانجليز ويتناول توسع سلطة الإمامة الأباضية في شرقي افريقيا وفارس وينهي نور الدين السالمي كتابه التحفة بأحداث سنة ١٣٢٨ هـ ١٩١٠م.

منهج نور الدين السالمي:

مما لاشك فيه أن هناك مناهج عديدة للبحث التاريخي ولكتابة التاريخ فقد أظهر مؤرخنا مقدرة فائقة في انتقاء مناهج البحث التاريخي حيث اتبع طريقة الطبري واليعقوبي وغيرهم من المؤرخين الأوائل في سردهم الروايات التاريخية بأسانيدھا تاركين للقارئ الحكم عليها. وقد تميز السالمي بالحرص في انتقاء الروايات التاريخية حيث قال الدكتور فاروق عمر في كتابه مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني «فاننا نلاحظ السالمي قد أظهر دقة وتمييزاً في اختياره الروايات التاريخية» ووصفه أيضاً بالاعتدال دون التحامل على مخالفه في الرأي حيث قال: «... ومن جهة ثانية فان السالمي كان من الأباضيين المعتدلين في المشادة التي حدثت في عمان بعد سقوط الإمامة الأباضية الثانية ولذلك فهو ينكر التطرف».

وقد حرص مؤرخنا في كتابه على الإعتماد على موارد ومصادر موثوق بها ويذكر بعضها أثناء سرده للحوادث والروايات التاريخية مما يعزز صدقها وصحتها.

فقد أشاد الدكتور فاروق عمر في مرجعه السابق بهذه الميزة فقال: «رغم أن السالمي يعتمد على الازكوي في أخباره عن عمان في القرون الأولى إلا انه يتميز عن الازكوي بأشارته الى بعض موارده ورواته...».

وحيث ان النقد من أهم مناهج البحث التاريخي فقد بادر نور الدين السالمي بانتقاد بعض المصادر التي استقى منها رواياته التاريخية، فقد ذكر ذلك الدكتور فاروق عمر عندما تحدث عن منهج السالمي في كتابة التاريخ حيث قال : «إن السالمي يعتمد اعتماداً كبيراً على ابن رزيق ويوليه ثقة ربما أكثر مما يجب ولكن برغم ذلك فإن السالمي ينتقد ابن رزيق ذلك لأنه يأخذ الأخبار أحياناً من أسنة العامة ومن الناس شفاهاً، كما وانه يورد روايات أخرى ثم ينهيها بقوله: «وهو مخالف كلام ابن رزيق المتقدم والله أعلم».

وأخيراً وليس آخراً فقد اتخذ مؤرخنا الواقعية منهجاً في أسلوب كتابته فقد حرص نور الدين السالمي في كتابة رواياته التاريخية بعيداً عن الخرافات والمبالغات فقد قال الدكتور فاروق عمر واصفاً واقعية مؤرخنا: «فإن روايات السالمي مهمة في تكوين صورة أقرب الى الواقع للإمام ناصر بن مرشد خاصة وأن روايات ابن قيصر عن سيرة هذا الإمام فيها مبالغات عديدة، فمقارنة روايات ابن قيصر بروايات السالمي وغيره تعطينا صورة أوضح عن تلك الفترة من حكم اليعاربة».

لقد تتبعنا سوياً منهج السالمي وما تميز به عن غيره من المؤرخين وحسبنا هنا أن نورد اعجاب الدكتور فاروق عمر بمنهج نور الدين السالمي حيث قال في مرجعه السابق «ان ذلك كله يبرز لنا أهمية التحفة بين كتب التواريخ المحلية العمانية بسبب دقته في نقل الروايات التاريخية واشارته الى بعض مصادره ومحاولته نقد تلك المصادر واطهار الاختلاف بينه وبينهم واعتداله في آرائه وانكاره للتطرف الذي تبنته مدرسة الرستاق الأباضية».

ومما يؤخذ على السالمي أو غيره من المؤرخين السابقين عدم التطرق الى الصلات التاريخية التي ربطت عمان بالعالم في ذلك الوقت والاهتمام فقط بالأحوال الداخلية وهي ملاحظة يذكرها الكثير من المؤرخين المعاصرين.

فانني أرى أن هذا المأخذ لا ينطبق على مؤرخنا نور الدين السالمي فقد كان ينوي كتابة تاريخ موسع عن أحوال المذهب وأهله حيث قال في كتابه التحفة « وقد كنت عزمت أن أجمع سيرة تجمع أحوال المذهب وذكر أهله أينما كانوا من الحجاز والعراق وعمان واليمن والمغرب وخراسان وغيرها من عهد الصحابة الى عصرنا هذا. ثم رأيت أن ذلك شيء يطول وخشيت معاجلة الأيام قبل تمام المأمول فعملت للناس السيرة العمانية وإن كان في الأجل فسيحة جمعت ان شاء الله باقي السيرة على حسب ما ذكرت...»

ولو افترضنا انه كتب وأكمل هذه السير التي كان ينوي كتابتها لكان قصر بالضرورة تناول الحوادث والعلاقات التي ربطت عمان بتلك الأقاليم سواء المجاورة أو البعيدة وما أعتقده هنا أن نور الدين السالمي اقتصر تحفة الأعيان على الأحوال الداخلية لعمان ولم يهتم كثيراً بصلاتها الخارجية هو عدم رغبته في تكرار نفس الحوادث. حيث كان ذلك بالضرورة لورود ذكر العلاقات والصلات التي ربطت عمان بغيرها في السير السابقة. فلذلك كرس جهده لخراج السيرة العمانية بأسرع وقت لخوفه من معاجلة الأيام له قبل أن تجتمع هذه السيرة في قالب متكامل وتاريخ شامل.

مصادره :

تميز نور الدين السالمي بأسلوبه في عرض الوقائع التاريخية فهو ينقل الروايات ويعرضها في ترتيب منطقي بدقة تامة ؛ ولقد كان لاشارته الى مصادره وموارده ورواته في كتابة رواياته أكبر دليل على اعتباره مؤرخاً موثقاً به اعتمد عليه الكثير من المؤرخين الذين جاءوا من بعده. ومما لاشك فيه أن نور الدين السالمي اعتمد في كتاباته التاريخية عن عمان على مؤرخين أقدمين محليين وغير محليين من هؤلاء المؤرخين ابن خلدون والمسعودي وابن الأثير والجاحظ وعلى مؤرخين

كالعوتبي والقلهاتي والأزكوي والمعولي وابن رزيق وابن قيصر.
بالإضافة الى رجوعه الى المصادر القديمة في السير العمانية السابقة
لهؤلاء مثل أبي المؤثر وأبي قحطان وأبي الحواري ومحبوب بن الرحيل
ومحمد بن محبوب ومنير بن النير الجعلاني فاستطاع بذلك أن يكون له
ثروة تاريخية ضخمة مكنته من وضع كتابه العظيم القيم تحفة الأعيان
بسيرة أهل عمان.

ومن المحل بمكان أن نضع هنا شهادة أحد الباحثين الفطاحل من
وطننا العربي وهو الدكتور فاروق عمر حيث قال عن التحفة:

« لقد كتب السالمي العديد من الكتب في الفقه والتاريخ ولكن كتاب
التحفة يبقى أهم عمل تاريخي له وقد جعل هذا الكتاب من السالمي
مؤرخاً لتاريخ عمان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي
وبداية القرن العشرين وخليفة ابن رزيق في سلسلة مؤرخي عمان
المحليين. وسيبقى تاريخه متميزاً بروايات جديدة لم تظهر في كتب
المؤرخين الذين سبقوه ».

مرضه ووفاته رضي الله عنه:

لقد كان نور الدين السالمي في رحلة علمية الى الحمراء لمناظرة الشيخ
ماجد بن خميس العبري لاختلاف في مسائل فقهية حدثت بينهم. وأثناء
سيرهم اعترض نور الدين السالمي غصن أمبا وأسقطه على ظهره من
راحلته حيث لم يبصره لأنه كان ضريباً فبقى في الحمراء مريضاً ومن
ثم نقل الى بلدة تنوف من أعمال نزوى فزاد به المرض فتوفاه الله بعد
العتمة من ليلة الخامس من شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وثلاثين
وثلاثمائة وألف. وكان عمره رضي الله عنه ثمانية وأربعين سنة وأشهرأ،
بعدما كرس حياته في خدمة العلم والوطن وترك شعلة أضاءت الدرب

سنين طويلة أمام الباحثين والمتعلمين والمؤرخين وألهم العمانيين نداء
الواجب وأنار لهم طريق العمل المستمر بهمة وعزيمة. فرحم الله نور
الدين السالمي وأسكنه فسيح جناته.

ودفن ببلدة تنوف تحت سفح الجبل الأخضر، فأصيبت عمان بموته
مصاباً عظيماً حيث كان رضي الله عنه قدوة في سياسة الدنيا والدين.
ولقد عبر عدد من الشعراء عن مدى الفجيعة التي حلت بعمان بأسرها
حيث قال شاعر العرب أبو مسلم ناصر بن عديم الرواحي راثياً نور
الدين السالمي في عدد من المراثي منها:

نكس الأعلام ياخير الملل	رزيء الإسلام بالخطب الجلل
يارجال الدين لم ينزل بنا	فادح أعظم مما قد نزل
يارجال العلم أودى قطبكم	بل جميع العلم أودى والعمل

وهكذا قد ألقى نور الدين السالمي الضوء على ما كانت تزخر به عمان
من أمجاد تليدة وفتوحات مجيدة وسياسة حميدة.

وأنهى مؤرخنا حياته تاركاً ثروة جليلة في فترة وجيزة والتي جعلت
منه مؤرخاً وكاتباً جليلاً ومرجعاً يقتدى به والتي ستبقى مناراً زاخراً
يضيء للأجيال والباحثين الدرب مدى الأزمان.

هذا هو السالمي المؤرخ الذي تميزت كتاباته بالدقة والواقعية والأمانة
والمنطقية وهو لاشك من الأقطاب الذين يشار اليهم بالبنان من الذين
أنجبتهم عمان.

فهرس

رقم الصفحة	الموضوع
	أولا الكلمات :
٧	١ - كلمة معالي الشيخ محمد بن عبدالله بن زاهر الهنائي وزير الزراعة والثروة السمكية . . . راعي الندوة
٩	٢ - كلمة سعادة سالم بن محمد الغيلاني رئيس المنتدى الأدبي
١٣	٣ - كلمة الشيخ سليمان بن محمد السالمي
	ثانياً : القراءات :
١٧	١ - القراءة الاولى : منهج السالمي في مؤلفاته الفقهية محاضرة سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي . . . مفتي عام السلطنة
٣٣	٢ - القراءة الثانية : المنهج العلمي في مؤلفات السالمي التاريخية اعداد فضيلة الشيخ اسماعيل بن علي الأكوع
٤٣	٣ - القراءة الثالثة : السالمي المجتهد المجدد اعداد فضيلة الشيخ ناصر بن محمد المرموري
٦٥	٤ - القراءة الرابعة : السالمي اديباً ولغوياً اعداد / د. إبراهيم بن أحمد الكندي

	٥ - القراءة الخامسة : السالمي فقيهاً ومحققاً
٨٩	اعداد / د. صالح بن أحمد الصوافي
	٦ - القراءة السادسة : جهود السالمي في خدمة الأدب في عمان
١١٥	اعداد / د. أحمد درويش
	٧ - القراءة السابعة : الجوانب التربوية والتعليمية في مؤلفات السالمي
١٢٥	اعداد / أحمد بن سليمان الكندي
	٨ - القراءة الثامنة : اطلالة على شعر نور الدين السالمي
١٣٣	اعداد / سالم بن علي بن سالم الكلباني
	٩ - القراءة التاسعة : السالمي مؤرخاً
١٤٣	اعداد / حمدون بن سليمان بن سالم السالمي

ما ورد في هذا الكتاب لا يمثل بالضرورة
رأي المنتدى الأدبي

حقوق الطبع محفوظة للمنتدى الأدبي
وزارة التراث والثقافة

رقم الإيداع : ١ / ٢٠٠٣م